Bu eserin;

kataloglanması, dijital ortama aktarılması ve

elektronik ortamda kullanıma sunulması

İstanbul Kalkınma Ajansı (İSTKA)'nın desteğiyle

İBB Kültür ve Sosyal İşler Daire Başkanlığı

Kütüphane ve Müzeler Müdürlüğü (Atatürk Kitaplığı)

tarafından gerçekleştirilmiştir.

Proje No	:	İSTKA/2012/BIL/233
Destek Programı	:	Bilgi Odaklı Ekonomik Kalkınma Mali Destek Programı
Projeyi Destekleyen	:	İstanbul Kalkınma Ajansı (İSTKA)
Proje Adı	:	Osmanlı Dönemi Nadir Eserlerin Kataloglanması, Dijital Ortama Aktarılması ve Elektronik Ortamda Kullanıma Sunulması
Proje Sahibi Kuruluş	:	İBB Kültür ve Sosyal İşler Daire Başkanlığı
Proje Yüklenicisi	:	Yordam BT Ltd. Şti.
Proje Uygulama Yeri	:	Kütüphane ve Müzeler Müdürlüğü - Atatürk Kitaplığı İSTANBUL – Beyoğlu

شفا شريف

١٢٠٥

ص

قال القاضي الفقيه الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه
نسخه

الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى ● المختص بالملك الاعز الاحمى ●
الذى ليس دونه منتهى ● ولا وراءه مرمى ● الظاهر لا تخيلا
ووهما ● الباطن تقدسا لا عدما ● وسع كل شىء رحمة وعلما
● واسبغ على اوليائه نعما عما ● وبعث فيهم رسولا من
انفسهم انفسهم عربا وعجما ● وازكاهم محتدا ومنما ● وارجحهم
عقلا وحلما ● واوفرهم علما وفهما ● واقواهم يقينا وعزما
● واشدهم بهم رافة ورحما ● زكاه روحا وجسما ●
وحاشاه عيبا ووصما ● وآتاه حكمة وحكما ● وفتح به اعينا
عميا ● وقلوبا غلفا ● وآذانا صما ● فامن به وعزره ونصره
من جعل الله له فى مغنم السعادة قسما ● وكذب به وصدف
عن اياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ● ومن كان فى هذه

اعمى ● فهو فى الاخرة اعمى ● صلى الله عليه وعلى آله صلوة
تنمو وتنمى ● وسلم تسليما ● اما بعد اشرق الله قلبى وقلبك بانوار
اليقين ● ولطف لى ولك بما لطف به لاوليائه المتقين
الذين [illegible] قدسه ● واوحشهم من الخليقة بانسه
● وخصهم [illegible] معرفته ● ومشاهدة عجايب ملكوته
● وآثار قدرته ● بما ملا قلوبهم حبرة ● ووله
عقولهم فى عظمته حيرة ● فجعلوا همهم به واحدا
ولم يروا فى الدارين غيره مشاهدا ● فهم بمشاهدة جماله و
جلاله يتنعمون ● وبين آثار قدرته وعجايب عظمته يترددون
● وبالانقطاع اليه ● والتوكل عليه ● يتعززون
● لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون
● فانك كررت على السؤال فى مجموع يتضمن
التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له من
توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر
او قصر فى حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما
لاسلافنا وائمتنا فى ذلك من مقال ● وابينه بتنزيل صور
وامثال ● فاعلم اكرمك الله انك حملتنى من ذلك امرا امرا
● وارهقتنى فيما ندبتنى اليه عسرا ● وارقيتنى بما كلفتنى
اليه مرتقا صعبا ● ملا قلبى رعبا ● فان الكلام فى ذلك
يستدعى تقرير اصول ● وتحرير فصول ● والكشف عن غوامض
ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم ويضاف

اليه ● او يمتنع او يجوز عليه ● ومعرفة النبي والرسول والرسالة و
النبوة والمحبة والخلة ● وخصايص هذه الدرجة العلية ● وههنا
مهامه فيح تحار فيها القطا ● وتقصر بها الخطا ● ومجاهل تضل فيها
الاحلام ● ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ● ومداحض تزل بها
الاقدام ● ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد ● لكني لما رجوته لي ولك
في هذا السؤال والجواب من نوال ● وثواب بتعريف قدره
الجسيم ● وخلقه العظيم ● وبيان خصايصه التي لم تجتمع قبل
في مخلوق ● وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق
● ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ● و
لما اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ●
ولما حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال نا الحسين
ابن محمد نا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد بن
بكر نا سليمان بن الاشعث نا موسى بن اسمعيل نا حماد انا علي بن الحكم عن
عطاء عن ابي هريرة قال قال ● رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت
سافرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على
استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه الانسان من
مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل ● وترد بعد
حسن التقويم الى اسفل سفل ● ولو اراد الله بعبد خيرا لجعل شغله
وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثمه سوى حضرة النعيم ● او عذاب
الجحيم ● ولكان عليه بخويصته ● واستنقاذ مهجته ● وعمل

مشفوعة

الانسانا

وعمل

صالح ليستزيده ● وعلم نافع يفيده او يستفيده ● جبر الله
صدع قلوبنا ● وغفر عظيم ذنوبنا ● وجعل جميع استعدادنا لمعادنا
● وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفا ● ويحظينا بمنه
وكرمه ● ولما نويت تقريبه ● ودرجت تبويبه ● ومهدت
تاءصيله ● وخلصت تفصيله ● وانتحيت حصره وتحصيله ●
ترجمته بالشفا ● بتعريف حقوق المصطفى ● وحصرت الكلام
فيه في اقسام اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى ●
لقدر هذا النبي المصطفى ● قولا وفعلا ● وتوجه الكلام فيه في
اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه ● واظهاره
عظيم قدره لديه ● وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله
تعالى له المحاسن خلقا وخلقا ● وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقا ● وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما
ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره ● عند ربه ومنزلته
● وما خصه به في الدارين من كرامته ● وفيه اثنا عشر فصلا
الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات
● وشرفه به من الخصايص والكرامات ● وفيه ثلثون
فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام ● من حقوقه عليه الصلوة
والسلام ● ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول
في فرض الايمان به ● ووجوب طاعته ● واتباع سنته ● وفيه
خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة
فصول الباب الثالث في تعظيم امره ● ولزوم توقيره ● وبره ●

ورحمته

وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض
ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل
في حقه • وما يجوز عليه شرعاً • وما يمتنع ويصح من الامور البشرية
ان يضاف اليه • وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب • ولباب
ثمرة هذه الابواب • وما قبله له كالقواعد والتمهيدات • و
الدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات • وهو الحاكم على ما بعده
• والمنجز من غرض هذا التاليف وعده • وعند التقصي
لموعده • والتفصي عن عهدته • يشرق صدر العدو اللعين
• ويشرق قلب المؤمن باليقين • وتملأ انواره جوانح صدره
• ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره • ويتحرر
الكلام فيه في بابين الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية
• ويتشبث به القول في العصمة • وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في احواله الدنيوية • وما يجوز طروه عليه
من الاعراض البشرية • وفيه تسعة فصول القسم الرابع
في تصرف وجوه الاحكام • على من تنقصه او سبه عليه افضل
صلوة وسلام • وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول
في بيان ما هو في حقه سب ونقص • من تعريض او نص • وفيه عشرة
فصول الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه و
عقوبته وذكر استتابته • والصلوة عليه ووراثته • وفيه
عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة
• ووصلة للبابين الذين قبله • في حكم من سب الله تعالى

ورسله

ورسله • وملائكته وكتبه • وآل النبي صلى الله عليه وسلم
وصحبه • واختصرنا الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها
ينتجز الكتاب • وتتم الاقسام والابواب • وتلوح في غرة الايمان
لمعة منيرة • وفي تاج التراجم درة خطيرة • وتزيح كل لبس
وتوضح كل تخمين وحدس • وتشفي صدور قوم مؤمنين • و
تصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين • وبالله تعالى لا اله سواه استعين

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى • لقدر النبي

المصطفى • قولا وفعلا • قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله
لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم
الله تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلام • وخصوصه اياه
بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام • وتنويهه من
عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام • فمنها ما صرح به
تعالى في كتابه • ونبه به على جليل نصابه • واثنى عليه من اخلاقه
وآدابه • وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه • فكان
جل جلاله هو الذي تفضل واولى • ثم طهر وزكى • ثم مدح بذلك
واثنى • ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى • فله الفضل بدءا وعودا
• وله الحمد اولى واخرى • ومنها ما ابرزه للعيان • من
خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال • وتخصيصه بالمحاسن
الجميلة • والاخلاق الحميدة • والمذاهب الكريمة • والفضائل
العديدة • وتاييده بالمعجزات الباهرة • والبراهين الواضحة
• والكرامات البينة • التي شاهدها من عاصره • ورآها

وفقه الله وسدده

من ادركه • وعلمها علم يقين من جاء بعده • حتى انتهى علم حقيقة
ذلك الينا • وفاضت انواره علينا • صلى الله عليه وسلم
كثيرا • حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه
الله قراءة مني عليه قال نا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو
الفضل احمد بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي قال نا ابو علي السنجي
قال نا محمد بن احمد بن محبوب ثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ
قال نا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبرئيل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه قال فارفض عرقا **الباب الاول** في ثناء الله تعالى
عليه • واظهاره عظيم قدره لديه • اعلم ان في كتاب الله العزيز آيات
كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه • وتعظيم امره • و
تنويه قدره • اعتمدنا منها على ما ظهر معناه • وبان فحواه • وجمعنا
ذلك في عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جاء من ذلك مجيء المدح و
الثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال
السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم
قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب
او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب
انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه • ويتحققون مكانه • و
يعلمون صدقه وامانته • فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم
لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة
في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه
نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة • واثنى عليه بمحامد كثيرة
• من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم • وشدة ما
يعنتهم ويضر بهم • في دنياهم واخراهم • وعزته عليه ورافته و
رحمته بمؤمنيهم • قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه • رؤف
رحيم • ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا و
حسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح • كلنا نكاح • قال ابن الكلبي
كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا و
لا شيئا مما كانت عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في
الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز
خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من
خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه
من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته
طاعته • وموافقته موافقته • فقال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر
زين الله محمدا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة • وجميع شمائله وصفاته رحمة
على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه •

والواصل فيهما الى كل محبوب • الا ترى ان الله يقول وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة • ومماته رحمة كما قال
عليه الصلوة والسلام حياتى خير لكم وموتى خير لكم وكما قال اذا اراد
الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها • فجعله لها فرطا وسلفا • وقال
السمرقندى رحمة للعالمين يعنى للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن
رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافرين بتاخير
العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب
غيرهم من الامم المكذبة وحكى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت لثناء الله عز وجل على بقوله ذى قوة عند ذى العرش
مكين • مطاع ثم امين • وروى عن جعفر بن محمد الصادق فى
قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اى بك انما وقعت سلامتهم
من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات
والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثانى ههنا محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اى نور محمد صلى الله عليه وسلم
وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادى اهل السموات والارض ثم قال
مثل نور محمد اذ كان مستودعا فى الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد
بالمصباح قلبه • والزجاجة صدره • اى كانه كوكب درى لما فيه من
الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اى من نور ابراهيم عليه السلام وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضئ اى تكاد نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل فى هذه الاية غير هذا

تبيّن

والله

والله اعلم وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال
تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا و
مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة شرح اى وسع والمراد بالصدر
هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة
وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى
لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك
قيل ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل
عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معى قول لا اله
الا الله محمد رسول الله وقيل فى الاذان قال الفقيه القاضى
هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه
وشريف منزلته عنده وكرامته عليه • بان شرح قلبه للايمان
والهداية • ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة • ورفع عنه ثقل امور
الجاهلية عليه • وبغضه لسيرها وما كانت عليه • بظهور دينه
على الدين كله • وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه
للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه • وجليل رتبته • و
رفعة ذكره • وقرانه مع اسمه اسمه • قال قتادة رفع الله تعالى ذكره فى
الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله • وان محمدا رسول الله • روى ابو سعيد الخدرى

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول
تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت
معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك
ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد
بالرسالة الا ذكرني بالربوبية • واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة
• ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته • واسمه باسمه
• فقال واطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما
بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام • في غير
حقه عليه الصلوة والسلام • حدثنا الشيخ ابو علي الحسين
بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراءة على الثقة عنه قال نا ابو عمر
النمري قال نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود
السجزي نا ابو الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور عن عبد
الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما
شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم ما
النبي صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله تعالى على مشية من
سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك
ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمن كره منه
الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما
كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمن اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال

ومن

ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف
المفسرون واصحاب المعاني في قوله ان الله وملئكته يصلون على النبي هل
يصلون راجعة على الله تعالى والملئكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملئكة وقدروا الاية ان الله يصلي و
ملئكته يصلون وقد روي عن عمر انه قال من فضيلتك عند الله ان
جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين روي انه لما نزلت
هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل
الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد
اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه
حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو
الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت عليهم
قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في
تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد
الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد
وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم

المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم قال بعضهم وهو الذى صدق به وقرئ وصدق بالتخفيف
وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل على وقيل غير هذا
من الاقوال وعن مجاهد فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه **الفصل الثانى** فى وصفه له تعالى بالشهادة
وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبى انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له فى هذه الاية ضروبا
من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة • فجعله شاهدا على امته لنفسه
بابلاغهم الرسالة • وهى من خصايصه عليه الصلوة والسلام ومبشرا
لاهل طاعته • ونذيرا لاهل معصيته • وداعيا الى توحيده وعبادته
• وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله
قال نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسى نا ابو زيد المروزى نا
ابو عبد الله محمد بن يوسف نا البخارى نا محمد بن سنان نا فليح نا هلال
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرنى
عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل والله انه لموصوف
فى التورية ببعض صفته فى القرآن يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا • واذانا صما • و
قلوبا غلفا • وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفى

بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا • اسدده لكل جميل • واهب له كل خلق كريم • اجعل السكينة
لباسه • والبر شعاره • والتقوى ضميره • والحكمة معقوله •
والصدق والوفاء طبيعته • والعفو والمعروف خلقه • والعدل
سيرته • والحق شريعته • والهدى امامه • والاسلام ملته
• واحمد اسمه • اهدى به بعد الضلالة • واعلم به بعد الجهالة
• وارفع به بعد الخمالة • واسمى به بعد النكرة • واكثر به بعد
القلة • واغنى به بعد العيلة • واجمع به بعد الفرقة • و
اولف به بين قلوب مختلفة • واهواء متشتتة • وامم متفرقة
• واجعل امته خير امة • اخرجت للناس وفى حديث آخر اخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صفته فى التورية عبدى احمد المختار مولده بمكة • ومهاجره
بالمدينة • او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون
الرسول النبى الامى الآيتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال
السمرقندى ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين
الجانب ولو كان فظا خشنا فى القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله سمحا سهلا
طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك • وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسى ابان
الله فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفى قوله تعالى
فى الاية الاخرى وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية وقوله
تعالى وسطا اى عدلا خيارا ومعنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم

وفضلنا كم بان جعلنا كم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم
ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سأل الانبياء هل بلغتم
فيقولون نعم فيقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد
للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على
كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم
~~محمد صلى الله عليه وسلم~~ وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري
هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد
صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي الفصل الثالث فيما ورد في
خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله
واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم
اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف
عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره
بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق
في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي
لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب

قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية
وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل
يجب على المسلم المجاهد نفسه الرايض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب
بتأدب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف
الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه
الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني
عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتداء بالاكرام قبل العتب
وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم
قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه
غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه
وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته
ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية
قال علي رضه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن
نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل ع م فقال ما
يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الاية ففي
هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه الصلوة والسلام
والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له

معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين
فدفع بهذا التقرير ما توهم نفسه بسمة الكذب ثم جعل الله لهم بتسميتهم
جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من
الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما
يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكر ممن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت عمن
رسل من قبلك الآية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا
وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك
ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل
لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه عليه الصلوة والسلام و
بر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم
يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها
الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله
عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال و
معناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ
نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد
غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله تعالى بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون

في

في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لي عند ربي عشرة اسماء وذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو
قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل و
قيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله
به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين
ثم قال والقرآن الحكيم ● انك لمن المرسلين ● فان قدر انه من اسمائه
صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء
قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه
انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده ● وعلى صراط مستقيم من ايمانه ● اي
طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى
لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على
تأويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه الصلوة والسلام انا
سيد ولد آدم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد ● وانت حل بهذا البلد ● ولا فخر ١
قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة
اي اقسم به ● وانت به ● يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين
والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا ● وبركتك ميتا ● يعني المدينة والاول
اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن

عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال أمنها الله بمقامه فيها وكونه
بها فان كونه صلى الله عليه وسلم امان حيث كان ثم قال و والد وما ولد من
قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهى ان شاء الله اشارة
الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به فى موضعين وقال
تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه
وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التسترى الالف هو الله
تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندى
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن
لاريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لاريب فيه
ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء فى قوله تعالى
ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم
للقرآن وقيل هو اسم لله تعالى وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال
جعفر بن محمد فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال
النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن
عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد لان منه تفجر الايمان

الفصل السادس

فى قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى
الآية اختلف فى سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبى صلى الله
عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة فى ذلك بكلام وقيل
بل تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت السورة قال الفقيه القاضى

ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه
اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل
اذا سجى اى ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثانى بيانه مكانته عنده
وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك و
قيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللآخرة خير لك من الاولى
قال ابن اسحق اى مالك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة
الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك
مما اعطاك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه
آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى
الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب فى الآخرة و
قيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض آل النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس آية فى القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عدده الله تعالى عليه من نعمه وقرره
من آلائه قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس
به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه
من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه الى الله
وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا
واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على
المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته
به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس
امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما

بنعمه

التحدث

بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى
والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله
والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسماء والطارق
وما ادريك ما الطارق • النجم الثاقب • ان النجم هنا ايضا محمد صلى
الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما
يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى • وتنزيهه عن الهوى •
وصدقه فيما تلا • وانه وحي يوحى • اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد
القوى • ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رأى • وانه رأى من آيات ربه الكبرى • وقد نبه تعالى على
مثل هذا في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه صلى الله عليه وسلم من ذلك
الجبروت • وشاهده من عجائب الملكوت • لا تحيط به العبارات ولا تستقل
بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم
فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد و
البلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد
رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى • وتاهت
الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى • قال القاضي ابو الفضل واشتملت
هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه الصلوة والسلام و
عصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى
قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره
بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله

وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند
مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه
رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى
وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني
محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي
بمتهم ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير
بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم الآيات
اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما
غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه
ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة • واعلى درجات الآداب
في المحاورة • ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم • وثواب غير منقطع • لا يأخذه
عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من
هباته • وهداه اليه • واكد ذلك تتميما للتمجيد • بحرفي التأكيد • فقال
وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس
لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه
وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم
المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما اغمر نواله • واوسع افضاله • ثم سلاه تعالى عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون
الثلث الآيات ثم عطف بعد مدحه • على ذم عدوه • وذكر سوء خلقه •

عقابهم

وعدّ معايبه • متولياً ذلك بفضله • ومنتصراً لنبيه • فذكر بضع
عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله
اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه • وخاتمة
بواره • بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته
لنفسه • ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده • واثبت في ديوان مجده •

التدق

الفصل الثامن

فيما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والاكرام
قال تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه صلى الله
عليه وسلم وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء
كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد
على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي
اجازة ومن اصله نقلت قال نا ابو ذر الحافظ قال نا ابو محمد الحموي
نا ابراهيم بن خريم الشاشي قال نا عبد بن حميد نا هاشم بن القاسم عن ابي
جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على
رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة
وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل وجعلت قسماً لحق
الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك

الحموي

باخع

باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً اي قاتل نفسك
لذلك غضباً او غيظاً او جزعاً ومثله قوله ايضاً لعلك باخع نفسك
الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية
فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما
تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما
يقولون الى آخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك
الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهوّن عليه ما يلقى من المشركين
واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبر
به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك
عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه •
وابان عذره • بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم
اي في اداء ما بلغت • وابلاغ ما حملت • ومثله قوله تعالى واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك
سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

وإن يكذبوك

الفصل التاسع

فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره • وشريف منزلته
على الانبياء وحظوة رتبته عليهم قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن
القابسي استخص الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه
به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث

نبيا الا ذكر له محمدا ونعته • واخذ عليه ميثاقه • ان ادركه ليؤمنن به
وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم
الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم
لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه
عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام
بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم
بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال
قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي
في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم
وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال اهل التفسير
اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه
بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات
وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى

الله

الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء
باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها
الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم
ان الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابراهيم
اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح ع م ..

الفصل الثاني من مع

في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال
الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله
عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله تعالى ولولا رجال
مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا
من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرءه به العذاب عن اهل مكة
بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم الله
بتسليط المؤمنين عليهم • وغلبتهم اياهم • وحكم فيهم
سيوفهم • واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم • وفي
الآية ايضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي
عليه نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي نا ابو يعلى ابن
زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ
نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن
عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون

فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحوه منه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال عليه الصلوة والسلام انا امان لاصحابي قيل من البدع
وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان
الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر
البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى
فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملئكته وامر عباده بالصلوة
والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تأول قوله عليه الصلوة
والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اى في صلوة الله على وملئكته وامره
لامته بذلك الى يوم القيمة فالصلوة من الملئكة استغفار ومنا له دعاء ومن الله
رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلوة
عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين
في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله تعالى لنبيه قال اليس الله
بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده
له قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس
والصاد صلاته عليه قال ان الله وملئكته يصلون على النبي وقال تعالى
وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه الاية مولاه اى وليه وجبريل
وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملئكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل
على وقيل المؤمنون على ظاهره الفصل الرابع فيما تضمنته سورة الفتح
من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق
ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه • وكريم
منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه • ما يقصر الوصف عن الانتهاء

فيهم

فانتظروا

زائد دكلدر والصلوة من الملائكة الى وسنذكر حكم الصلوة عليه دنصكره تحرير اولنه جقدر سهوا مقدم يازلمشدر

اليه

اليه • فابتداء جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره
• وغلبته على عدوه • وعلو كلمته وشريعته • وانه مغفور له غير
مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك
مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره
منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل
بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا
وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه • بخضوع متكبري عدوه
له • وفتح اهم البلاد عليه • واحبها له • ورفع ذكره وهدايته الصراط
المستقيم • المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على
امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم
بما لهم بعد وفوزهم العظيم • والعفو عنهم • والستر لذنوبهم
وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة • ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء
منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا فعدد محاسنه
وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل
شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من
سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اى يجلونه وقيل ينصرونه وقيل
يبالغون في تعظيمه ويوقروه اى يعظمونه وقراءه بعضهم يعززوه بزائين
من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم
قال ويسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطا جمع للنبي صلى الله
عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من النعم المبين وهو من اعلام

الإجابة والمغفرة • وهي من اعلام المحبة • وتمام النعمة • وهي من
اعلام الاختصاص والهداية • وهي من اعلام الولاية • فالمغفرة
تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلوغ الدرجة الكاملة • والهداية وهي
الدعوة الى المشاهدة • وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله
حبيبه واقسم بحياته • ونسخ به شرايع غيره • وعرج به الى المحل الاعلى
• وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى • وبعثه الى الاسود
والاحمر واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد
آدم وقرن ذكره بذكره • ورضاه برضاه • وجعله احد ركني •
التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان
اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم عند البيعة قيل
قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس
في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه
وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة
لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله وفعله ورميه وقدرته
عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية
حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل
الملئكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الاخرى انها على المجاز العرفي
ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ
رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع
اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت

العربي

بالاسم **الفصل العاشر** فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه
ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل
من ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم وما
انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد
من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من
الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله الا تنصروه فقد
نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد
تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم
عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر لهم
في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن
مالك حسبما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث
الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • ان
شانئك هو الابتر • اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في
الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل
النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه • ورد عليه قوله
فقال ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير
الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول
والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن
العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القرآن من امر ونهي وبشرى
وانذار وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك نبا القرآن العظيم وقيل

سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد
صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمي القرآن مثاني
لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات
الهدى والنبوة • والرحمة والشفاعة • والولاية والتعظيم والسكينة
وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الآية وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا الآية قال الفقيه فهذه من خصايصه وقال تعالى وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا
صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه الصلوة والسلام
بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين
من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي
حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس
وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم
بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الآخرة وقد قرئ
وهو اب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفة المصحف وقال تعالى وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما
سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الرؤية
التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما **الباب الثاني** في تكميل الله تعالى
له المحاسن خلقا وخلقا • وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقا • اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم • الباحث عن تفاصيل

جمل قدره العظيم • ان خصال الجلاول والكمال في البشر نوعان (الجلال)
ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب
ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منهما
ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري
المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته
من كمال خلقته • وجمال صورته • وقوة عقله • وصحة فهمه
• وفصاحة لسانه • وقوة حواسه واعضائه • واعتدال
حركاته • وشرف نسبه • وعزة قومه • وكرم ارضه • (نفسه)
ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه (وملبسه)
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة
بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة • وقوانين الشريعة • واما المكتسبة
الاخروية • فساير الاخلاق العلية • والآداب الشرعية
من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروة والصمت
والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي (والتودد)
التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في
الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه
فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصلها في اصل الجبلة
شعبة كما سنبينه وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه
الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول

السنية وان اختلفوا فى موجب حسنها وتفضيلها **فصل** اذا كانت خصال
الكمال والجمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنتين
ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او
سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك
فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم
قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال
ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة
والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب
والدنو والوحى والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود
والصلوة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد ادم
ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذى العرش والطاعة
ثمة والامانة والهداية والرحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤال والكوثر و
سماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر و
وضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتاييد بالملئكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثانى والقران
العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلوة الله والملئكة و
الحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم
باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى
واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق
القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع

على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من
الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به
لا اله غيره الى ما اعد له فى الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات
القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التى تقف دونها
العقول ويحار دون ادانيها الفهم **فصل** ان قلت اكرمك
الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا
واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت فى
تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقنى الى ان اقف عليها من
اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا **فاعلم** نور الله قلبى وقلبك
وضاعف فى هذا النبى الكريم حبى وحبك انك اذا نظرت الى
خصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفى جبلة الخلقة وجدته حائزا
لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة
الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع **اما** الصورة وجمالها
وتناسب اعضائه فى حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة
والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث على وانس بن مالك وابى هريرة
والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابى هالة وابى جحيفة و
جابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابى
الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من
انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل
اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه
واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن و

معرّض

الصدر ● واسع الصدر ● عظيم المنكبين ● ضخم العظام ● عبل العضدين والذراعين والاسافل ● رحب الكفين والقدمين ● سائل الاطراف ● انور المتجرد ● دقيق المسربة ● ربعة القد ● ليس بالطويل البائن ● ولا القصير المتردد ● ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم ● رجل الشعر ● اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام ● اذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه ● احسن الناس عنقا ● ليس بمطهم ● ولا مكلثم ● متماسك البدن ● ضرب اللحم ● قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ● واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد ● واحلاه ● واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ● ومن خالطه معرفة احبه ● يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله ● صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنا ان شاء الله فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ● ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد

بالقصير

وقال ابو هريرة ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكان

فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ● ثم تممها بنظافة الشرع ● وخصال الفطرة العشر ● وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا انا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة بن سعيد نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب اولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ● ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ● ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهوية ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة او ما علمت ان

فيها

وروى الحربي عن جابر اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة فكان ينم علي مسكا

الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان
لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه
صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام
ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو
بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع
لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه
صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه
حديث علي رضه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت
انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا
قال وسطعت منه رايحة طيبة لم نجد مثلها ومثله قال ابو
بكر رضه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه
شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه
صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب
عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد
روي نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي
وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن
عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني
مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف
في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم
قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان

يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم
يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته
وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم
قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته
نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضها ما رأيت فرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم قط وعن علي رضه اوصاني النبي صلى الله عليه
وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه
وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضهما انه صلى الله عليه وسلم
نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه
صلى الله عليه وسلم كان محفوظا

فصل واما وفور عقله
وذكاء لبه • وقوة حواسه • وفصاحة لسانه • واعتدال
حركاته • وحسن شمائله • فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم
ومن تأمل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة
والخاصة مع عجيب شمائله • وبديع سيره • فضلا عما افاضه
من العلم • وقرره من الشرع دون تعلم • سبق ولا ممارسة
تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله • وثقوب
فهمه • لاول بديهة وهذا لا يحتاج الى تقريره لتحققه • وقد
قال وهب بن منبه قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في
جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا • و
افضلهم رأيا • وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى
لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في

لتحققه

جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا
وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في
الساجدين وفي الموطا عنه عليه الصلوة والسلام اني لاراكم
من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عايشة مثله
قالت زيادة زاده الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني
لانظر من وراي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني لابصر
من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشة كان
النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار
كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملئكة والشياطين
ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد
عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن
حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر
تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم
كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل في كتابه نا ابو الحسن
المقري الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها نا الشريف
ابو الحسن علي بن محمد الحسني نا محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن
سليمان نا محمد بن محمد بن مرزوق نا همام نا الحسن عن قتادة عن
يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في

الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص
نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى
من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الآثار بانه صرع ركانة اشد
اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في
الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلث مرات كل ذلك يصرعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رأيت احدا اسرع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته كانما الارض تطوى
له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان
تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من
صبب فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان
صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل
سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ
وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع
الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة
منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها
حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن عن شرح كلامه و
تفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه و
ليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه
مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة
العليمي والاشعث بن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم
من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم

الاخبار

ونصاعة

الصحابة

قراعها وهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من
دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم
فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومذقها ومحضها
وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك لهم في المال والولد من
اقام الصلوة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن
شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك
ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة
ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم
الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع
سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا
الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة
ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال
العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس
ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن
زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة
في فرائض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال
اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهورة لما كان كلام
هولاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس

ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية
السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال
فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري
حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما
شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة
وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت
في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله المسلمون تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم
وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من
احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له والناس معادن وما
هلك امرء عرف قدره والمستشار موتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم
ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم
يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة
احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله
لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات
وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما
عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في
بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري

مع عند كره

وتلم بها شعثي • وتصلح بها غائبي • وترفع بها شاهدي • وتزكي بها عملي •
وتلهمني بها رشدي • وترد بها الفتن • وتعصمني بها من كل سوء • اللهم اني
اسئلك الفوز في القضاء • ونزل الشهداء • وعيش السعداء • والنصر
على الاعداء • الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه
وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لاخلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس
بها غيره • وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره • وقد جمعت من كلماته التي
لم يسبق اليها • ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها • كقوله حمي
الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد
من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب
به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح
منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك
صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ
الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي
لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل
لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل واما شرف نسبه • و
كرم بلده • ومنشئه • فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه • ولا بيان
مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم سلالة قريش وصميمها واشرف
العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه • ومن اهل مكة من اكرم
بلاد الله • على الله • وعلى عباده • حدثنا قاضي القضاة حسين

وافضل

بن محمد الصدفي رحمه الله نا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف نا ابو
ذر عبد بن احمد نا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم نا محمد
ابن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا قتيبة بن سعيد نا يعقوب بن عبد
الرحمن عن عمرو عن ابن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى
كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضه قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير
القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم
فانا خيرهم نفسا • وخيرهم بيتا • وعن واثلة بن الاسقع قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا و
اصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي
وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار
بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا
ثم اختار قريشا فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني
فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض
العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا
بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور و
يسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى آدم القى ذلك النور في
صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله تعالى

ابغضهم

الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابراهيم
ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة ● والارحام الطاهرة
حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ● ويشهد بصحة هذا
الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور ● الى
فصل واما ما تدعوا ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى
ثلثة ضروب ضرب الفضل في قلته ● وضرب الفضل في كثرته
● وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته
اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل
العرب والحكماء تتمادح بقلتهما ● وتذم بكثرتهما ● لان
كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره و
غلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء
الجسد ● وخثارة النفس ● وامتلاء الدماغ ● وقلته دليل
على القناعة ● وملك النفس ● وقمع الشهوة ● مسبب
للصحة ● وصفاء الخاطر ● وحدة الذهن ● كما ان كثرة النوم
دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب
للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة
● ويوجد مشاهدة ● وينقل متواترا من كلام الامم
المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها
● وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى
الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار

العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين
بالاقل هذا مما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض
عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه نا ابو الفضل الاصبهاني نا ابو نعيم الحافظ
حدثني نا سليمان بن احمد نا بكر بن سهل نا عبد الله بن صالح نا معاوية بن صالح
ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام ابو بن معدي كرب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن
آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان
● الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روي عنه صلى الله
عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة
الايدي وعن عائشة رضها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان
اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا
بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله
ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان
سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون
عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره
بقوله هو لها صدقة ● ولنا هدية ● وفي حكمة لقمان يا بني اذا
● امتلات المعدة ● نامت الفكرة ● وخرست الحكمة

وقعدت الاعضاء عن العبادة • وقال سحنون لا يصلح العلم لمن
ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا
آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس
له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس
على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر
منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس
المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق
عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت
بذلك الاخبار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عينيّ تنامان ولا ينام
قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على
الجانب الايسر اهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة
حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه
والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة
ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح
بكثرته • والفخر بوفوره • كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق
فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال • وصحة الذكورية • ولم يزل
التفاخر بكثرته عادة معروفة • والتمادح به سيرة ماضية
• واما في الشرع فسنة ماثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه
الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال
عليه الصلوة والسلام تناكحوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن

جنبه

يوم القيمة

الذين

التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر التي نبه عليهما صلى الله
عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر و
احصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن
عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه
لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري
كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير
شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته
من الفضائل وهذا يحيى بن زكرياء قد اثنى الله عليه انه كان حصورا
فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه
حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق
المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق
بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه
حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست
له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على
النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة
كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام
فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا
ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله
عن ربه درجة علياء وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي
لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن

شاغلة

وقيامه بحقوقهن • واكتسابه لهن • وهدايته اياهن •
بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من
حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل ان
حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره و
استعماله لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوائد التي ذكرناها
في التزويج وللقاء الملئكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على
الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين
لاجل غيره • وقمع شهوته • وكان حبه الحقيقي المختص بذاته
في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته • ولذلك ميز بين
الحبين • وفصل بين الحالين • فقال وجعلت قرة عيني
في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن
وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم
ممن اقدر على القوة في هذا واعطى الكثير منه ولهذا
ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس
رضه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل
والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة
ثلثين رجلا اخرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاووس
اعطي عليه الصلوة والسلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله
عن صفوان بن سليم قالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه
وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي
الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه السلام

التي

فضله

لاطوفن

لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال
ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امراة
وثلثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبع مائة امراة وثلثمائة
سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل
يده تسع وتسعون امراة • وتمت بزوج اوريا مائة • وقد
نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه الصلوة والسلام فضلت
على الناس باربع • بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش • واما
الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال
تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن آفاته كثيرة
فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه • ومدح ضده
• وورد في الشرع مدح الخمول • وذم العلو في الارض وكان صلى الله
عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة
عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون
اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته
واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته
من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة
عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال
هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة • وشريف
منزلته بالرسالة • وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة • في الدنيا فامر
هو مبلغ النهاية • ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل

من

اباته

نظمنا هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات
فى التمدح به • والتفاخر بسببه • والتفضيل لاجله • ككثرة المال
فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن
اغراضه بسببه • والافليس فضيلة فى نفسه • فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من اعتراه واسله
وتصريفه فى مواضعه مشتريا به المعالى والثناء الحسن والمنزلة فى القلوب
كان فضيلة فى صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه فى وجوه البر وانفقه
فى سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل
حال • ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على
جمعه عاد كثرة كالعدم وكان منقصة فى صاحبه ولم يقف به على جدد
السلامة بل اوقعه فى هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح
بالمال • وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه • وانما هو للتوصل
به الى غيره • وتصريفه فى متصرفاته • فجامعه اذا لم يضعه مواضعه
ولا وجهه وجوهه • غير ملىء بالحقيقة • ولا غنى بالمعنى •
ولا ممتدح عند احد من العقلاء • بل هو فقير ابدا غير واصل الى
غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال • الموصل لها لم يسلط عليه
فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس فى يده منه شىء والمنفق
ملىء غنى بتحصيله فوائد المال وان لم يبق فى يده من المال شىء فانظر سيرة
نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه فى المال تجده قد اوتى خزائن الارض
ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبى قبله وفتح عليه
فى حيوته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب

وما دانى ذلك من ارض الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما
استاثر بشىء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه • واغنى
به غيره • وقوى به المسلمين وقال • ما يسرنى ان لى احدا ذهبا يبيت عندى
منه دينار الا دينارا ارصده لدينى ومات ودرعه مرهونة فى نفقة عياله
واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد
فيما سواه فكان يلبس ما يجده فيلبس فى الغالب الشملة والكساء
الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة
بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهات فى الملابس والتزين بها
ليست من خصال • الشرف والجلالة وهى من سمات النساء
والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط فى جنسه وكونه لبس مثله
غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين •
وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه فى العادة عند الناس انما يعود
الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال • وكذلك التباهى بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك
الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة
المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائد عليها فى
الفخر • ومعرق فى المدح باضرابه عنها • وزهده فى فائتها • وبذلها
فى مظانها • فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة • والاداب الشريفة • التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل
صاحبها • وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها • فضلا عما فوقه

واتته دنانير ثمانية فقسمها وبقيت منها
ستة ودفعها لبعض نسائه فلم ياخذه
نوم حتى قام وقسمها وقال الآن
استرحت

واثنى الشرع على جميعها ● وامر بها ● ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ●
ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال
في قوى النفس واوصافها ● والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها ●
فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها ● والاعتدال
الى غايتها ● حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة
رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه الصلوة والسلام
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ● قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا
عليها في اصل خلقته ● واول فطرته ● لم تحصل له باكتساب ولا رياضة
الا بجود الاهي ● وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء ومن
طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى
ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلوة والسلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق
في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا
قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال معمر كان
ابن سنتين او ثلث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله
مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلث سنين فشهد له انه
كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم
اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى
لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على من قرأ من تحتها وعلى قول من قال
ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني
نبيا وقال ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمن

وهو

وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي بما اقتدى به داود ابوه
وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى
مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا
ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء
اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا
يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك
رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن
ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان
استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا
وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب يقول تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم
وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال
في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي
الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما
ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم ● وتشرق انوار المعارف
في قلوبهم ● حتى يصلوا الغاية ● ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة
في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية ● دون ممارسة ولا رياضة
● قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد
غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل
عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان

على حسن السمت والشهامة او صدق اللسان والسماحة وكما نجد
بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين
يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف
فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة فى العبد وحكاه عن عبد الله بن
مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى
سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن
الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب فى حديثه والجرءة
والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء وهذه الاخلاق المحمودة
والخصال الجميلة كثيرة لكنا نذكر اصولها ونشير الى
الشريفة
جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله
تعالى **فصل** اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة
دائرتها فالعقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن
هذا ثقوب الرأى وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن
والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن
السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد
اشرنا الى مكانه منه عليه الصلوة والسلام وبلوغه منه ومن
العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما
تفرع منه متحقق عند من تتبع مجارى احواله واطراد سيره
وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم

حديثه وعلمه بما فى التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير
الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع
وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى
اتخذ اهلها كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة واشاراته
حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب
وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا
مدارسة ولا مطالعة لكتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل
نبى امى لم يعرف بشىء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره و
علمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة و
بالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص
واحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ
جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى
سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجايب
قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما حارت العقول فى تقدير فضله عليه
وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة و
الصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر و
ثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند
الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو
فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه

وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية رُوِيَ ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها
فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك
ان تصل من قطعك • وتعطي من حرمك • وتعفو عمن ظلمك
• وقال له واصبر على ما اصابك الآية وقال فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية • وقال
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من
حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة • وحفظت
عنه هفوة • وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة
الاذى الا صبرا • وعلى اسراف الجاهل الا حلما • حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا نا محمد بن عتاب
نا ابو بكر بن وافد القاضي وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله
نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة
الله فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته
وشج وجهه • يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد
قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه
بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر

على الارض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد
وطئ ظهرك • وادمي وجهك • وكسرت رباعيتك • فأبيت ان
تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي
ابو الفضل انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى
الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم
ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة
بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له
الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يرده في جوابه ان
بين له ما جهله • ووعظ نفسه • وذكرها بما قاله • فقال ويحك
فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من
اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول
الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس
قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم
والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف
من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال
كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير
الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في
الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم
اذ سحره وقد اعلم به • واوحي اليه بشرح امره • ولا عتب عليه
فضلا عن معاقبته • وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه

من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن
اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه
اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه
ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى ك النبي
الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير
وعلى الاخر تمر قالت عايشة رضها ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله
وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب
خادما ولا امراة وجيء اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك
لم تسلط علي وجاءه زيد بن شعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا
عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال
انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول
والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن
القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلث
وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان

وقع في الاصل شعنه بالنون وبالياء آخر الحروف عوض النون وكتب عليه صح
والصحيح انه شعنه بالنون كذا قيده الامير
ابو نصر

سبب

سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد
عرفتها في محمد الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة
الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه الصلوة
والسلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك
ما ذكرناه مما هو في الصحيح والمصنفات الثابتة والمصنفات الى ما بلغ متواترا
مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرة
الشدايد الصعبة معهم الى ان اظهره الله عليهم وحكمه فيهم
وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما
زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الاية
اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة
الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله
عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وقال لابي
سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه
ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفين الم يان سفيان
لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم
رضا صلى الله عليه وسلم فصل واما الجود والكرم والسخاء
والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم
الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا
حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب

نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب ما لا يحمد وهو الجود
اكتساب
وهو ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى فى هذه
الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضى
الشهيد ابو على الصدفى نا القاضى ابو الوليد الباجى نا ابو ذر الهروى
نا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو اسحق البلخى نا ابو عبد
الله الفربرى نا البخارى نا محمد بن كثير انا سفيان عن ابن المنكدر
سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبى صلى الله عليه
وسلم عن شئ فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس
شيئا
كان النبى صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان
فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عم اجود بالخير من الريح المرسلة
وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال
اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة
من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك
تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا
ستة آلاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها
فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندى
شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر ما
كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه
وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف

من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر
فى وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذى وذكر عن معوذ بن
عفراء اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد
طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطانى ملء كفه حليا وذهبا
قال انس كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد
والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير وعن ابى هريرة
اتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم يساله فاستسلف له رسول
الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه
فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل

فصل

واما الشجاعة والنجدة والشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث
يحمد فعلها دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان
الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال
عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة
من
سواه حدثنا ابو على الجيانى فيما كتب لى قال نا القاضى سراج نا ابو محمد الاصيلى
اخبر
نا ابو زيد الفقيه نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابن بشار نا غندر
نا شعبة عن ابى اسحق سمع البراء وساله رجل افررتم يوم حنين عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان آخذ
بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد غيره

انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي
صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه و
سلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو
سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال
ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال علي رضه انا كنا اذا حمي الباس ويروى اشتد الباس
وحميت واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما
يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي
صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس
يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله
عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان النبي صلى
الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس
لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد
سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابي طلحة عري
والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن
حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من
يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت
ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى

يوم

يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد
شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه
رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا
طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا
عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى
الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا
وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم
يقولون لا باس عليك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس
قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى
مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه
الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء
التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان صلى الله عليه وسلم
اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله تعالى ان
ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية وحدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد
المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان انا عبد الله
انا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس يحدث عن ابي سعيد
الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء
من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه
وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه

احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عايشة رضها كان صلى الله عليه
وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى
فاعله وروى انس رضه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا
وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى
ينزعها قالت عايشة رضها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح وقد حكى مثل هذا الكلام عن التورية من رواية بن سلام و
عبد الله بن عمرو بن العاص وروى عنه انه كان في حياءه لا يثبت بصره في وجه
احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة قالت ما رايت
فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل

واما حسن
عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث
انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضه في وصفه عليه الصلوة والسلام
كان اجود الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم
عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره
قال نا ابو اسحق الحبال نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا هشام
ابو مروان ومحمد بن المثنى نا الوليد بن مسلم نا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول
نا محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطاء عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال

من

اوسع

لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان
تنصرف فانصرفت وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم
من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل
جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه
او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم
البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه
وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية
ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء
تركته لم تركته وعن عايشة رضها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال
جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت
ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب
صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين
ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم
احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو

فعلت كذا وكذا

دائمه

الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم يُرَ
مقدّما ركبتيه بين يدى جليس له وكان يبداء من لقيه بالسّلم ويبداء اصحابه
بالمصافحة لم يرقطّ مادّا رجليه بين اصحابه حتّى يضيّق بهما على احد
يكرم من يدخل عليه وربّما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته
ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكنّى اصحابه ويدعوهم باحب اسمآء هم تكرمة
لهم ولا يَقْطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي اوقيام ويُروى
بانتهآء اوقيام ورُوِيَ انّه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلّى الّا خفف صلوته
وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلوته وكان اكثر الناس تبسّما
واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يَعِظُ او يخطب قال
عبد الله بن الحرث ما رأيت احدا اكثر تبسّما من رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم وعن انس كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم اذا صلّى الغداة بآنيتهم فيها المآء فما يؤتى بآنية الّا غمس يده
فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرّك فصل
واما الشّفقة والرّأفة والرّحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه
ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وما ارسلناك الّا
رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه الصّلوة والسّلام انّ الله
اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام
ابو بكر بن فورك حدّثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي
عليه نا امام الحرمين ابو على الطبري نا عبد الغافر الفارسيّ نا ابو
احمد الجلودى نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا ابو الطاهر
انا ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلّى

الآخذ

الحارث

يأتون

الله عليه وسلّم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلّى
الله عليه وسلّم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة
قال ابن شهاب نا سعيد بن المسيّب انّ صفوان قال والله لقد
اعطاني ما اعطاني وانّه لابغض الخلق الىّ فما زال يعطيني حتى
انّه لاحبّ الخلق الىّ ورُوِيَ انّ اعرابيّا جآءه يطلب منه شيئا فاعطاه
ثمّ قال احسنت اليك قال الاعرابى لا ولا اجملت فغضب
المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفّوا ثمّ قام ودخل منزله و
ارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك
الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبىّ صلّى الله عليه
وسلّم انّك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شئ فاذ
احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدىّ حتّى يذهب ما في
صدورهم عليك قال نعم فلمّا كان الغداة والعشىّ جآء فقال
صلّى الله عليه وسلّم انّ هذا الاعرابىّ قال ما قال
فزدناه فزعم انّه رضى أكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل
وعشيرة خيرا فقال صلّى الله عليه وسلّم مثلى
ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتّبعها النّاس
فلم يزيدوها الّا نفورا فناداهم صاحبها خلّوا بيني وبين
ناقتي فانّى ارفق بها منكم واعلم فتوجّه لها بين يديها فاخذ
لها من قمام الارض فردّها حتّى جآءت واستناخت
وشدّ عليها رحلها واستوى عليها وانّى لو تركتكم حيث
قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النّار ورُوِيَ عنه انّه صلّى الله

عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني
احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته عم على امته
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض
عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل
وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول
الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم
رحمة بهم وانه كان ليسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن
يُنْعِب
شفقته صلى الله عليه وسلم اذ دعا ربه وعاهده فقال
ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلوة و
طهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل
عم فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك
وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال
وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من
يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عم
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال
فرجها ما شئت صح
ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت
عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار
ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا
بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عائشة انها ركبت بعيرا وفيه
صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليك

عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله عليه وسلم في
الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل
بقراءتي عليه قال نا ابو بكر محمد بن محمد نا ابو اسحق الحبال نا ابو محمد
ابن النحاس نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا محمد بن يحيى بن سنا نا ابراهيم
ابن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن
عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان
يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت
بعد ثلث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت على
انا ههنا منذ ثلث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة
لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضها قالت ما غرت على
امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح
الشاة فيهديها الى خلائلها واستاذنت عليه اختها فارتاح
اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السؤال عنها
فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد
من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان
يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان
آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها
وقد صلى عليه الصلوة والسلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها
على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة قال
وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم

فقال له اصحابه تكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني
احب ان اكافيهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا
هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي
مكرمة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال
ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت
امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من
هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السائب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له
بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه
الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وفي حديث خديجة رضها انها قالت
له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

مجبة

ابن

وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قراباتها فقيل لا احد

فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه
ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك
انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا
عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما
تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق الارض
عنه واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه بقراءتي عليه
في منزله بقرطبة سنة سبع وخمس مائة قال نا ابو علي الحافظ
نا ابو عمر نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابو بكر بن

عن ابي العنبس

ابي شيبة نا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العدبس عن ابي مرزوق
عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم
يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا
بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضه لا تطروني
كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وعن انس ان امراة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك
حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك
حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه
وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني
قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان
يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى
الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة
دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة
بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا
على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن
تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن

متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق
بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي
وقال للذي قال له يا خير البرية قال ذاك ابراهيم وسياتي
الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عائشة
رضها والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على
بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته
ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت
ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن
معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة
من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل
عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون
عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد
وعن ابي هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم
فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال
فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده
وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل
منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء
احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه
وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم
امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم

لهجة منذ كان ثم اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل
نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله تعالى فيه من
الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد
صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند
بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا
بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا
محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام
وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء وامين في الارض
حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه نا ابو الفضل بن
خيرون نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب
المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كريب نا معاوية بن هشام
عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما
جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروى
غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق
لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري
وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد اصادق ام كاذب فقال
ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل
عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان
يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد

فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى
اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله
ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراءة قط لا يملك
رقها وفي حديث علي في وصفه عليه الصلوة والسلام اصدق الناس
لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان
لم اعدل قالت عائشة رضها ما خير رسول الله صلى الله عليه
وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان
ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال
يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب
واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزاء نهاره ثلثة اجزاء جزء
لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزء جزءه بينه وبين
الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا
حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغ
امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد لا يؤاخذ
وذكر ابو جعفر الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم
ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين
كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت
بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى

مع

معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا
بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني
فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم
عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل
واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته و
مروءته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة و
عارضت بكتابه قال نا ابو العباس الدلائي نا ابو ذر الهروي
انا ابو عبد الله الوراق نا اللؤلؤي نا ابو داود نا عبد الرحمن
ابن سلام نا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن
اهيب عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان
النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد
يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى
بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن
سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير
السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان
ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس
حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه
الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته

يخطو تكفّؤًا ويمشي هونًا كأنما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعًا يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل أي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود إن أحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل قال ابن أبي هالة كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثًا لو عدّه العادّ لأحصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرًا ويحض عليهما ويقول حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة (الفطرة)

فصل وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا ثنا أحمد بن عمر قال ثنا أبو العباس الرازي قال ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا أبو الحسين بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود

و

عن عائشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة أيام تباعًا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية أخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عائشة رضها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا ولا درهمًا ولا شاة ولا بعيرًا وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضًا جعلها صدقة قالت عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال لي إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهبًا فقلت لا يا رب أجوع يومًا وأشبع يومًا فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وفي حديث آخر أن جبرئيل عم نزل عليه فقال إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبًا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضها قالت إن كنا آل محمد لنمكث شهرًا ما نستوقد نارًا إن هو إلا التمر والماء وعن عبد الرحمن ابن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويًا لا يجدون عشاء وعن انس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف
وعن حفصة رضها كان مرقق

على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتني الليلة صلوتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم

فصل

واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال نا ابو القاسم الطرابلسي نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا ابو عبد الله الفربري نا محمد بن اسمعيل نا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضه كان يقول قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في رواية عن ابي عيسى الترمذي رافعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت عائشة كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران

والنساء والمائدة وعن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير قال اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان صلى الله
عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه الصلوة
والسلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن
علي رضه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة
رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر
الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي و
الصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي
واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد
خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره و
غمي لاجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك
ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق
وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي
هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم
ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين
وقد قال عليه الصلوة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على
صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد
على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء

وفي حديث ابي هريرة رأيت موسى فاذا رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال
شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر
كانما خرج من ديماس وفي حديث آخر في صفة موسى كاحسن ما انت راء
من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في
ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني
من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن
الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا
وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى
قوله ويوم يبعث حيا وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين
وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
الآيتين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله
آتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان
موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم
اني لكم رسول امين وقال ان خير من استأجرت القوي الامين
وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له

منظن مثل الشيخ قالوا انا اشبه
ولد ابراهيم به وقال في حديث آخر

اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهديهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة
من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام
عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم
الى مين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه
كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم
العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي
الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه
وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وقال وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا
آتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفين هو
الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة
على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم
بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث
انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان
كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان
يطعم الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير وكانت العجوز تعترضه
وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي
وقيل ليوسف عم مالك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف
انا اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة عنه عليه الصلوة والسلام
خفف على داود القرآن فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن

قبل

وقال عن شعيب ستجدني ان شاء الله
من الصالحين صح

واوحى الله تعالى اليه يا رأس العابدين
وابن محجة الزاهدين صح

قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان
اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه
عن بيت مال الله وقال عليه الصلوة والسلام احب الصلوة الى
الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود كان
ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر
يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح
والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا
ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حيوته كلها وقيل
كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عم لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من
ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن
له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له
مسكين وقيل ان موسى عم لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة
البقل في بطنه من الهزال وقال عليه الصلوة والسلام لقد كانت
الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم
من العطاء اليكم وقال عيسى عم لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل
له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق بسوء وقال
مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى
اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبري عن وهب ان موسى عم كان يستظل بعريش و
ياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما يكرع الدابة

بكى حتى نبتت العشب من دموعه وحتى
تخددت الدموع في خده اخدودا وقيل

تواضعا لله بما اكرمه الله من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة
وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمائل
معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما نجده
في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا **فصل**
قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه
وسلم وجلينا من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا
الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء
وبحر علم خصايصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه
بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل
من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث
عن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية
من سيره واوصافه وفضائله وتصله بتنبيه لطيف على غريبه
ومشكله **حدثنا** القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ بقراءتي عليه
سنة ثمان وخمسمائة قال نا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التيمي
قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن الحسن النيسابوري
والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي
ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا انا ابو القاسم علي بن احمد بن
محمد بن الحسن الخزاعي قالوا انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال
انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال نا سفين بن وكيع نا جميع
ابن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال نا رجل من بني تميم من
ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن
لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال سألت خالي هند بن ابي هالة
قال القاضي ابو علي وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن
خذاداذ الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل
ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا انا ابو علي الحسن بن
احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي
قراءة عليه فاقر به قال انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن
ابن جعفر بن عبيد بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف
بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر بن محمد عن ابيه محمد
ابن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا
السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من
المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق
والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع
الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره
الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم
كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج
الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة

حدثني بن علي بن ابي طالب بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن صح

معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين
والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين
وسائل الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين

او قال سائل الاطراف

ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع
المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس
بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب
لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها
واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب
اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن
مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته
قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت ابي عن
دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا

له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزء دخوله ثلثة اجزاء جزأ لله تعالى وجزأ لاهله
وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه
وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسئلته
عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني
حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع
ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد
غيره قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق
ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيهم
ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه و
يسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه
معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده
عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم
وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم
مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن
وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس
ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا

اكرم عليه منه من جالسه اوقاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه
بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم و
حياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى
فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا
مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلث الرياء
والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلث كان لا يذم احدا ولا يعيره
ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من
تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون
منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق و
يقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء
الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء
او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع قلت كيف كان سكوته
صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين

الناس

الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له صلى الله عليه وسلم الحلم في الصبر
فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى
به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما اصلح امته والقيام لهم
بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله فصل في
تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول
في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي
كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس
اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته
وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها
وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم هو الناصع
البياض والآدم الاسمر اللون ومثله في الحديث الآخر ابيض مشرب اي فيه
حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف
المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين
وضدهما البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد
سواد الحدقة وفي الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي
في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها
وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين
الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن
ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث
الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم
القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر

ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو معلى اشاح اى انه كان
بادى الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله
قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض
البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية
الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى
الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد
مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما
الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع وذكر ابن الانبارى انه روى
سائل الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من
النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف
فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة
اى واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين
اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط
القدم ومسيح القدمين اى املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء
وفى حديث ابى هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ
بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين
وبه قالوا سمى المسيح بن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم
عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع
الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشى وقصده والهون
الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع
فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد

سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط
من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة
فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال و
انقبض وحب الغمام البرد وقوله فجزأ ذلك بالخاصة على
العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فيوصل
عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر
بالعامة ويدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده
ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون
على ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر
المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ
لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا فى
غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا
تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها
اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون
يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء
الا من مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم
وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله عليه
وسلم له ويستفزه يستخفه وفى حديث آخر فى وصفه منهوس
العقب اى قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها

الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به فى الدارين

من كرامته صلى الله عليه وسلم لا اختلاف انه اكرم البشر وسيد ولد
ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعليهم درجة واقربهم
زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد
اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معانى ما ورد منها فى
اثنى عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند
ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم
وما خصه به فى الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب
اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال
نا ابو الحسن الفرغانى حدثتنا ام القاسم بنت ابى بكر بن يعقوب
عن ابيها نا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى
الحمانى نا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعى عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق
قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب
الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين
اثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة واصحاب
المشأمة والسابقون السابقون فانا من السابقين
وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى من خيرها قبيلة
وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم و
اكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا
فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية
وعن ابى سلمة عن ابى هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت

من

لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة
قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم ومن حديث
انس انا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر وفى حديث ابن عباس انا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر وعن عائشة رضى الله عنها عنه عليه الصلوة والسلام اتانى
جبريل فقال قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم
ار بنى اب افضل من بنى هاشم وعن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق
ليلة اسرى به فاستصعب عليه فقال له جبريل يا محمد تفعل هذا فما
ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه الصلوة والسلام
لما خلق الله آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة
وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلنى فى الاصلاب الكريمة
الى الارحام الطاهرة حتى اخرجنى بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط
والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب بقوله من قبلها طبت فى الظلال
وفى مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا
مضغة ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق وروى عن النبى صلى الله عليه
وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال
اعطيت خمسا وفى بعضها ستا لم يعطهن نبى قبلى نصرت بالرعب مسيرة
شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلوة
فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى وبعثت الى الناس كافة واعطيت

مشارق

الشفاعة وفي رواية اخرى وعرض على امتى فلم يخف على التابع من المتبوع وفي رواية
بعثت الى الاحمر والاسود وقيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة
فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس
والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم
وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه
وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال قال صلى الله عليه وسلم اني فرط
لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت مفاتيح
خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم
ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه
وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن
رواية ابن وهب انه عليه الصلوة والسلام قال قال الله تعالى سل يا محمد
فقلت ما اسأل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما و
اصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله
تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي
ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك و
غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشي في الناس مغفورا
لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها
وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه
حذيفة بشرني يعني ربي اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون
الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع

امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا و
طيب لي ولامتي المغانم واحل لي كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا
في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام ما من نبي من
الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيته وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة
معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء
ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن
بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد
بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات
وعن علي رضه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى
الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهما ابو بكر وعمر وابن مسعود
وعمار رضه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط
عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار
وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم
وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله
عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء عليهم الصلوة والسلام قالوا
فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم
اني اله من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا
فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه الاية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن

معدانا أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا
رسول الله أخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه عن أبي ذر وشداد بن
أوس وأنس بن مالك فقال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم يعني قوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها
نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت في سعد بن
بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني رجلان عليهما
ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا
فأخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري إلى مراق بطني ثم
استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها
ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه قال في حديث آخر ثم
تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه
فختم به قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر الآخر
يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية أن جبرئيل قال قلب وكيع
أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال أحدهما
لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة
من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني
بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بأمته كلها لوزنها قال في
الحديث الآخر ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني
ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما أكرمك على الله إن الله معك
وملائكته قال في حديث أبي ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى

الامر

الامر معاينة وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم
عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل
توبتي فقال له الله من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة
مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند
قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية أخرى فقال
آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا
الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك
ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر
النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بأبي
محمد وقيل بأبي البشر وروي عن سريج بن يونس أنه قال إن لله ملائكة
سياحين عبادتها عيادة كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما منهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء إذا
على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي
وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما
قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر كيف
ينصب عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها
بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي
وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد
رسول الله لا أعذب من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب

محمد نبي لا مصلح وسيدا امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد
خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر
محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب
عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن
محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل
الجنة لكرامة اسمه عليه الصلوة والسلام وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه
اسم محمد الا نموا ورزقوا ورزق جيرانه وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود ان
الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه
وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية قام خطيبا فقال
يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي
على نسائكم تفضيلا الحديث فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة
الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة
المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصايصه عليه الصلوة
والسلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات المعرفة مما نبه
عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد
رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به صلى

الرفعة سه

الله

الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجايبه و
خواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا
ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي
وغير واحد من شيوخنا قالوا نا ابو العباس العذري نا ابو العباس
الرازي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا شيبان بن
فروخ نا حماد بن سلمة نا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار و
دون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت
المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بآدم عم فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا
بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا
فاذا انا بيوسف عم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي
ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة

فذكر مثله فاذا بموسى عليه السلام
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة

فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور
واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب
بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما
غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان
ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل
يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت
خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون
ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت
يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط
عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسئله
التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون
صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة فان عملها كتبت له
عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت
سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال
ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي
جوّد ثابت هذا الحديث عن انس ما شاء الله ولم يأت احد عنه
باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما
من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه

وغسله

وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك
في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت
بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا
وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك
القصة منفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجوّد في القصتين وفي
ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل
الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد
روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم
غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة
وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم
وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات
وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات
نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول
كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا
له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى
فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن
صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام

بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد
رأيتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم
سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملئكة فلما
قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد خاتم النبيين
قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ
ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد
منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن ثم ذكر كلام النبي صلى
الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال
كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة
للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير
امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري
ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال
ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء
الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى
وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض
منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق
الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد
من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها
انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر

لذة

١٠٤

لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها
الملئكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا
واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود
ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت
سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين و
الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى
التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته
وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه
تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم
الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال
فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا قال اعطي الصلوات
الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من
امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورة
له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل
كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن
ان يرفع علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء

حبيبا

واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك صح

علي

ببيت المقدس وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله
الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه
فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه
وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج
ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من
هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك
ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل
له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله
الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا
في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح
فقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح قال
ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف
على اهل السموات والارض قال القاضي ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو
في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما
يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه
وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال ان حجاب
حجبه من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه
وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل
عن الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل
ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول

ومن انس رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبرئيل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعدت في واحدة وقعد في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله سبحانه علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم ولط دوني الحجب وفرجها الدر والياقوت ثم اوحى الله الى ما شاء ان يوحى صح

بقوله في هذا الحديث الحجب صح

بجبر

كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون
امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم آياته او مبادي حقايق
معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل
من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله
ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او
من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان
محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا
او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه فصل ثم اختلف السلف
والعلماء هل كان اسراؤه بروحه او جسده على ثلث مقالات فذهبت
طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا
الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معوية وحكي عن الحسن
والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم صح وقوله انس وهو نائم في المسجد
الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام وذهب معظم السلف والمسلمون الى انه اسراء بالجسد وفي
اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وانس
وحذيفة وعمر وابو هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري
وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن
شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن

وهو الحق

جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبرى وابن حنبل وجماعة عظيمة
من المسلمين وهذا قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين و
المتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت
المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى
غاية الاسراء الذى وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح
بتشريف النبى صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء
اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى
لذكره فيكون ابلغ فى المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت
المقدس ام لا ففى حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر
ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا
قال القاضى والحق من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء
بالجسد والروح فى القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح
الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل
الا عند الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده وحال يقظته
استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده
وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة
ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من
اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن
ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسده وحال
يقظته الى ما ذكر فى الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس

من المسجد الحرام

فى رواية

فى رواية انس او فى السماء على ما روى غيره وذكر مجئ جبريل له بالبراق
وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول
محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه
فى فرض الصلوة ومراجعته مع موسى فى ذلك وفى بعض هذه الاخبار
فاخذ يعنى جبريل بيدى فعرج بى الى السماء الى قوله ثم عرج بى حتى
ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة
المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هى
رؤيا عين رآها النبى صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
الحسن فيه بينا انا نائم فى الحجر جاءنى جبريل فهمزنى بعقبه
فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعى ذكر ذلك ثلثا فقال
فى الثالثة فاخذ بعضدى فجرنى الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر
خبر البراق وعن ام هانى ما اسرى برسول الله صلى الله عليه
وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا
فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشاء
الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه
ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين فى انه بجسمه وعن ابى بكر من
رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به
طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل
حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه

نائم
وعن

آتية ثلث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على
ظاهرها وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل
جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج
بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة لقد
رأيتني في الحجر وقريش تسئلني عن مسراي فسالتني عن اشياء لم اثبتها فكربت
كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى
عمر بن الخطاب في حديث الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام انه قال ثم رجعت
الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال حجج من قال انها نوم
احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي
اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا
عين واسراء شخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى
مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان
المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية
الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه
قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله
ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول
الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في
الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في القصة
المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم آخر
بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان
في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من

عجايب

عجايب مما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء
الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية
الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على
مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله
ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلوته بالانبياء ولعله كانت له في هذا
الاسراء حالات ووجه رابع ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم
من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا
نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم و
ربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى
هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا
الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن
في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة
ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء كان باجماع بعد المبعث
فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه
انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة
عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك
وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة ما فقد جسده فعائشة
لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط

ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في
اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت
عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة و
قيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من
غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها
فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث
ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت
لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث
عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل
هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها
ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل
فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل
على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما
كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها
وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه

فصل

واما رؤيته صلى الله
عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة حدثنا ابو الحسين
سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال ثنا ابي وابو عبد الله بن
عتاب الفقيه قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت
ابن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود بن آدم ثنا
وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المؤمنين

هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث
وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة
انه قال انما رأى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته
في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه رآه
بعينه وروى عطاء عنه رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده
مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه
فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينيه روي ذلك عنه من
طرق وقال ان الله تعالى اختص موسى عم بالكلام وابراهيم عم بالخلة
ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما
رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان
الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فرآه محمد
مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس
وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين
فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين
محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد صلى الله عليه وسلم بقلبه وروى
شريك عن ابي ذر في تفسير الاية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم
ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره
بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد
الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق
أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه قال نعم وحكى النقاش عن احمد
ابن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى
انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال أبو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه
وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا أقول
رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن
وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه وعن ابن
عطاء في قوله ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح
صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري و
جماعة من أصحابه أنه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية
أوتيها نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فقد أوتي مثلها نبينا
وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس
عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل و
الحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا و
ليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال
موسى عم لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه
بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من
الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال له الله لن تراني أي

ن

لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية
موسى عم وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته
في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع
على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير
مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه
الابصار لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول
من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه
الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة
وقد قيل لا يدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط
به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا يدركه الابصار وإنما
يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله
تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من
قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا فليس
فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى عم وحيث تتطرق
التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل
وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال أبو بكر
الهذلي في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في
الدنيا وأنه من نظر إلي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين
ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تراكيب
أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم

متعرضة

تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر و
رزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها
على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس قال لم يُرَ في
الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة و
رزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح
وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا
قوّى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل أعباء الرؤية
لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر محمد وموسى صلوات الله و
سلامه على نبينا وعليه ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها
لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء
اجوبته عن الآيتين ما معناه ان موسى عم رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل
رأى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله و
لكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه
للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على
هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات
صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين
في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له اذ
جعله دليلا على الجواز اذ ليس في الآيات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول
بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتي النجم و
التنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي

مثل

ولامرية في الجواز

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الآية
وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الآخر
مختلف محتمل مشكل فروي نور اني اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني
اراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما
رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نور اني اراه اي
كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما جاء في الحديث الآخر حجابه
النور وفي الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى
والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره
فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه
ولا مانع قطعي يرده فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته
الله وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر
المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذوذا منهم فذكر
عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي
والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس
في قصة الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام في قوله دنى فتدلى قال فارقني
جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك
يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى

كلامه

وبارسال الملائكة تكلف جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم
الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة
وقد قيل الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبي من دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار
عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم كلام
الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء
الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول
فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز غير
ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه
وكلامه تعالى لموسى عم كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتب واكده بالمصدر
دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة
بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف
الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من
خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما
ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين
محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل عم او مختص باحدهما من الآخر او من
السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم
دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد
اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى اليه
اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه

وسلم

وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال
ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت
عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او
ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة وذكر حديث
الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين
قال وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين
وقال جعفر بن محمد والدنو من الله تعالى لا حد له ومن العباد بالحدود
وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن
دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون
قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي
ابو الفضل اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى
الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق بن محمد ليس
بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة
عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام و
يتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال
واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا
جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته
اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا

الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح
المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة
عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة و
المرتبة من الله له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول
واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول **فصل** في ذكر تفضيله
في القيمة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي نا ابو الفضل وابو الحسين
نا ابو يعلى نا السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا الحسين بن يزيد الكوفي نا
عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس رضه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وخطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا
الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم
اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم
بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ
مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر ولا نبي
يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة
واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس

انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس
تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة
انه عليه الصلوة والسلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة
وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما
في امتي يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من
امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى بنو
اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيمة
هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه الصلوة والسلام
لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجأ الناس اليه في
ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان
حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال
تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والآخرة
لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجأ الى
محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الآخرة
دون دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب
الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول
بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض

اللبن

من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ
ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان
من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق
وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس
وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد
وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبد
الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء بنتا ابي بكر
وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة
جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص على السنة المسلمين بحبيب الله
اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد نا ابو الهيثم
ونا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه نا القاضي ابو الوليد نا عبد بن احمد نا
ابو الهيثم نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسماعيل نا عبد الله بن محمد
نا ابو عامر نا فليح نا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر
ما ذا باعجب من كلام موسى عم كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى عم كلمة الله

محمد

ودوحه

ودوحه وقال اخر ادم عم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت
كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو
كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك
الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية انت حبيب الرحمن
قال القاضي ابو الفضل اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها
فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته
له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد
وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابراهيم خليل الله لانه
توالى فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده
وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة
فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه
ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار
فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة
صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال
بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع
والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم فاوجب للمحبوب
ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من النبوة لان البنوة

وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح
الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر صح

هنا

قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم و
لا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة
والسلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوايجهما عليه
والانقطاع عن من دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب او
لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل
بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفاء
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره
ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم
معنى قوله عليه الصلوة والسلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب
القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم
سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه
خص ابراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة
الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا
خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة رضها وابنيها
واسامة وغيرها واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة وغيرهم
الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل
الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع
بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن
الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها

كشف

كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون
كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد
لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله
واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضها كان خلقه القرآن يرضاه يرضى
ويسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله قد تخللت مسلك
الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما
سكت كنت الغليلا فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا
صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول
من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية وحكى اهل التفسير ان هذه
الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى
وقرنها بطاعته فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله و
الرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان
الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما
في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة
على الخلة ونحن نذكر طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالوا سطة
اليه بدع من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه به من
قوله فكان قاب قوسين وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك
الله ما تقدم الآية والخليل قال لا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله
النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي

الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني و
بني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات
والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام قال الله تعالى عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني حدثنا الجياني فيما كتبه الي
بخطه نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا ابو زيد وابو احمد قالا
نا محمد بن يوسف قال نا محمد بن اسمعيل قال نا اسمعيل بن ابان نا ابو الاحوص
عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثي [تتبع نبيها]
كل امة يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى
النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي
هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه الصلوة
والسلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة
خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن
ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه
عليه الصلوة والسلام انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره
يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية
هو المقام المحمود الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك
وتعالى [على كرسيه] الحديث وعن ابي موسى عنه عليه الصلوة والسلام خيرت بين ان يدخل
نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين
ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك
في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه
وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى
امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم
قبلهم فسألت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة
يجمع الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة
عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك
وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت
وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله
وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة
وآخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون
ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعده في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن
ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم و
قال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال
قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار
وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود

الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض
قال عليه الصلوة والسلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون وقال
فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق اخر عنه ماج الناس بعضهم في
بعض وعن ابي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون
فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت
آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد
لك ملئكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا
يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله
عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي
قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية
ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا
فذكر مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى
فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال
فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي
نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول

انا لها

انا لها فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت
ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين
يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح
الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال
في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع
فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك
من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال
مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع
لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي فقال انطلق
فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه
فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول
وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم
وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل
وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال
ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن
من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا
ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من
حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي
سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة

والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية مالك عن حذيفة فيأتون ابى
محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرحال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم
سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة
فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس عنه عليه الصلوة والسلام يوضع يومئذ
للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين
يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول
يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا
برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت
لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض عن
جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد
يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة
الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار
تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول انيس
الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر
مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار
ان شفاعته عليه الصلوة والسلام ومقامه المحمود من اول
الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم
الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك

قبل

قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا
الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى
الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل
النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال
لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب
لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة
مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم
عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما
شاؤه ويدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد
وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا
بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة
فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة
وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه
الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة
والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل لامته
اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها
وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم

للسؤل والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى عليه وسلم
كثيرا **فصل** في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة
والكوثر والفضيلة **حدثنا** القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي عليه قالا نا ابو علي
الغساني النمري نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا محمد بن
سلمة نا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن
علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال الله لي
الوسيلة حلت له الشفاعة **وفي** حديث آخر عن ابي هريرة الوسيلة
اعلى درجة في الجنة **وعن** انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت
لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده الى طينه فاستخرج مسكا **وعن** عائشة وعبد الله بن عمرو
مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل
وابيض من الثلج **وفي** رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه
حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض **ونحوه** عن ابن عباس **وعن**
ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه **وقال**
سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله **وعن**

اصبع / نا / قال ثنا

حذيفة

حذيفة فيما ذكر عليه الصلوة والسلام عن ربه واعطاني الكوثر نهر من
الجنة يسيل في حوضي **وعن** ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى **قال** الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم **فصل**
فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الآثار واجماع الامة كونه
اكرم البشر **فما** معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل لقوله فيما
حدثناه الاسدي قال نا السمرقندي نا الفارسي نا الجلودي نا
ابن سفيان نا مسلم نا ابن مثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة
سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه
وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد
ان يقول انا خير من يونس بن متى **وفي** غير هذا الطريق عن ابي هريرة
قال يعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث **وفي** حديث ابي هريرة في
اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا تفضلوا بين الانبياء **وفي** رواية لا تخيروني على موسى فذكر
الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى **وعن**
ابي هريرة من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب **وعن** ابن
مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى **وفي** حديثه الآخر فجاءه
رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم **فاعلم** ان للعلماء
في هذه الاحاديث تاويلات **احدها** ان نهيه عن التفضيل كان

قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف
وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا
افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي
التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان
لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما
في جهة يونس عم اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من
لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى
عنه اذ ابق الى الفلك المشحون (وذهب مغاضبا) فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل
لمن لا علم عنده ~~اذ ذهب مغاضبا~~ حطيطته بذلك الوجه الرابع منع
التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد
اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص
والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها وكذلك منهم رسل ومنهم اولوا
عزم من الرسل ومنهم رفع مكانا عليا و(منهم) من اوتي الحكم صبيا واوتي
بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية
وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل
العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال
ان تكون آياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او
يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به

من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه
وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى
الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح
في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في
عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد
يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل
نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه
خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى
وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا ادنى وسنزيد
في القسم الثالث في هذا بيانا فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه
شبهة المعترض **فصل** في اسمائه صلى الله عليه وسلم وما
تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال
نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى
نا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم (عن ابيه) قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن
اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل
مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى
الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو

احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال
الحمد وليشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك
مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم
ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه الصلوة والسلام ما لم
يعط غيره وسمّى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد
ثم في هذين الاسمين من عجائب خصايصه وبدايع اياته فن اخر
وهو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى
في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره
ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او
شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل
وجوده عليه الصلوة والسلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد
فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو
والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد
ابن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع
ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال
اول من سمي محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم
حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه
سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه و
سلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر
في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من
الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور

والغلبة

[illegible]

والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقوله وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي
كما قال وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من
الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
ومعنى قوله لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند
اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه الصلوة و
السلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل
في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي
عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة
التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة
ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع
الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي
وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عم اللهم
ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى
النقاش عنه عليه الصلوة والسلام لي في القرآن سبعة اسماء محمد
واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث
ابي موسى الاشعري انه كان عليه الصلوة والسلام يسمي لنا نفسه
اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي
الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والراحة وكل صحيح
ان شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة

وفي حديث عن جبير بن مطعم في سنن
محمد واحمد وحاشر وعاقب
وماحي

والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه
بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة
مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اى
يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه الصلوة والسلام ربه رحمة لامته
ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة
مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه الصلوة والسلام بالتراحم
واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء واما رواية نبى
الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم
وهى صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابى موسى وفيه ونبى الرحمة
ونبى التوبة ونبى الملاحم وروى الحربى فى حديثه عليه الصلوة والسلام
انه قال اتانى ملك فقال لى انت قثم اى مجتمع قال والقثوم الجامع
للخير وهذا اسم هو فى اهل بيته عليه الصلوة والسلام معلوم البيته
وقد جاءت من القابه عليه الصلوة والسلام وسماته فى القرآن عدة
كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير
والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم
النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم
والنبى الامى وداعى الله فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها
فى كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة

شافية

شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابى القاسم والحبيب ورسول رب
العالمين والشفيع المشفع والمتقى والمصلح والطاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادى وسيد ولد آدم وسيد
المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب
الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب
الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة
والنعلين ومن اسمائه فى الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط فى الانجيل وقال ثعلب
البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه فى الكتب السالفة ماذ ماذ
ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب
فالخاتم الذى ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى
بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا فى التورية احيد روى ذلك عن ابن
سيرين ومعنى صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال
معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق
الذى كان يمسكه عليه الصلوة والسلام وهو الآن عند الخلفاء
واما الهراوة التى وصف بها فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم العصا
المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن واما
التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان
العرب واوصافه والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها

وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل عليه السلام فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم

مقنع ان شاء الله تعالى فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه من
اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل
وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في
سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر
للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره و
التقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا ان
نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من
انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق
واسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى
ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب
بصابر واسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من
مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه
منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا
منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من
جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا
منها في هذا الفصل نحو ثلثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم
الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الآن
ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه
وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا
وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار

الى نحو هذا حسان بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا
محمد ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك
فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه الحق المبين ومعنى الحق الموجود
والمتحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والاهيته بان وابان بمعنى ويكون
بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه و
سلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل اني
انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما
جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره
وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته والمبين عن الله ما بعثه
به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه
ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين
بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد
وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان
نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا
فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو
بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل
المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم
وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال عليه الصلوة والسلام انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة
في حقه عليه الصلوة والسلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه

الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفي عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي والمسؤل الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين وقيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن

ابي هريرة

ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم و الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه الصلوة والسلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عم فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر وقال عليه الصلوة والسلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم و منك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو

منه عمر بن الخطاب قوله نحن الآخرون السابقون وقوله انا اول
من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع
واول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه
وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر
وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين
قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق وفي الحديث المأثور
وورد في الحديث ايضا اسمه عليه الصلوة والسلام بالصادق
المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد
قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلوة والسلام
انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين وقال عليه
الصلوة والسلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو
ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في القرآن والتورية
وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له
جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في
التورية والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ
ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله
لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله
يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل
الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر
يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى له وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى

مختص

مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشاء وبمعنى الدعوة لا ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن
وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده
والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه
وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الاخرة من عذابه وقيل
المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم
في الدعاء آمين اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن
وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه الصلوة والسلام يعرف
بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا من
قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها
المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى
القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس
لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في
كتب الانبياء في اسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس اي المطهر من الذنوب
كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر اي الذي يتطهر به
من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من
الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف
الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له
او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد

وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا
وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه
تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من
اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم **فصل** قال القاضي ابو
الفضل وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا وهاانا
القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان
يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى
صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه
الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم
بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه
صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه
عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله
در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة
للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي بيانا
وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله
فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت
الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات
المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية

تشتمل

تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي
بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس
او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر
وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه
باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي
الجويني من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن
الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك
حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة
التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها
بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في
وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر
تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه
بمنه وكرمه **الباب الرابع** فيما اظهره الله تعالى على يديه
من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضي
ابو الفضل حسب المتأمل ان يتحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين
عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن ونذكر شروط
المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده

بل الّفناه لاهل ملته المُلبّين لدعوته المصدّقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي قال نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي نا محمد بن بشار نا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده

ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر

على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع
تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض
الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم
كلامه ويكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء
او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز
هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم
وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام
قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله
وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفا
في مصنفات ائمتنا والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النباء وهو
الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه
على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول ويكون
نبيا منبئا هو
مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون
عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة
شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه
مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في
اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسل اليه واشتقاقه
من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه
الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي
والرسول بمعنى واحد او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو

الاعلام

الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول
الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع
على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها
وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما
قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا
لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي امة
او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع
مبتداء ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح
والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول
الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر ر عنه
ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة
وثلثة عشر اولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند
المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل
لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان
النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات
وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحي الحاجب واللحظ لسرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا
الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام
وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون

في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل
ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه
دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء
معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من
نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق
نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأى
بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان
بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام
شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله
فكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز
له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم دلائل
نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة
وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها
ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين
ولا اكثر لان النبي قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر
السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منه بعددها وقدرها
معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من
المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا
ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره
من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو
كانكاره وجود محمد في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو

في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة
ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد
جرى على يديه عليه الصلوة والسلام آيات وخوارق عادات ان لم يبلغ
واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على
يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف
المعاند في كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم
وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم
ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار
الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا
وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني
ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر
رواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير
والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه
اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار
غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز
كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق
ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه الصلوة والسلام
معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر
عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله
صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل
عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب

ضعفاء

المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة
نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء
الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة
متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن
اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية
وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن
احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما ذكر عنهم انهم
رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن
السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم
ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر
بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ
بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي
من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على
باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد من كثير من الاخبار الكاذبة
والاراجيف الطارئة واعلام نبينا هذه الواردة من طريق
الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن
العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على
اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا
وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من
آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به

لما ذكر

من أئمتنا

من أئمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما وما عندي اوجب قول القائل
ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته
للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق
النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص
المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر
عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون
بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة
وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء
من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب
قراءة ام القرآن في الصلوة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول
ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة
والاقتصار في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل
بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح
وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم
ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن
سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله

فصل في اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب
الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من
جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تأليفه
والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة
عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن وفرسان

الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم
واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب
ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة
يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون
بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب
ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون
من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآل
فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون
الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة
البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل
والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا
البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج
والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك
قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب
من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين
وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم
والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت
بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه

وتظاهرت

وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه [ومقاطعه] وحوت كل البيان
جوامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده
مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة
رجالا واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا
بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا
بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ اجمعين
ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون
الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من
مثله الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك
ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا
تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان
يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل
يقرعهم صلى الله عليه وسلم غاية التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ [اشد]
ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم
ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغترار بالافتراء وقولهم [بالاكاذيب]
ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن

والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل
هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا ومن تعاطى ذلك
من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه
من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط
فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا
مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن
المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الآية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله
لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد
ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته
وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال
اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن
الخطاب رضه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد
شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن
كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آية
من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم
من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الآية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال
لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله
تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين
امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته

غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل
النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه
الصلوة والسلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان
به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من
اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته
واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى
ولكم في القصاص حيوة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي الآية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا الآية واشباهها من الآي بل اكثر القرآن حققت
ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها
وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة
منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين
من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات
عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي
يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية
لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه
كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها
على كثرة ترددها حتى يكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها

وتناصيف في الحسن وجه مقابلتها • ولا نفوذ للنفوس من ترديدها
ولا معاداة لمعادها • فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه
العجيب • والاسلوب الغريب • المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج
نظمها • ونثرها الذي جاء عليها • ووقفت مقاطع آيه • وانتهت
فواصل كلماته اليه • ولم يوجد قبله ولا بعده • نظير له • ولا
استطاع احد مماثلة شي منه بل حارت فيه عقولهم • وتدلهت دونه احلامهم
ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم • من نثر او نظم او سجع او رجز و
شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن
رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار
مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع
قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا
لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو
بزمزمته ولا سجعه فقالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته
قالوا فنقول شاعر قالوا ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه
وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال
ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين
من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه
سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته وابيه
فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد
ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات قال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم
قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت

قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال
والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية
انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه
وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول وما يلتئم
الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم على لسان احد
بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة
والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب
الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان
بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا
ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في
مجموع البلاغة والاسلوب • واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع و
تنفر منه القلوب • والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا
ومن تفنن في علوم البلاغة • وارهف خاطره ولسانه ادب هذه
الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه
عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته • ونصاعة
الفاظه • وحسن نظمه وايجازه • وبديع تأليفه واسلوبه لا يصح
ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار
الخلق عليها كاحياء الموتى • وقلب العصا • وتسبيح الحصا
وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم

الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من الصحابة وعلى الطريقين
فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في
مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في
التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس
من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما
اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث
لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة
لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع
العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة
في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد
ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة
من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول
الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما
نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل
الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما
لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم
سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله
والفتح الى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس

في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه الصلوة
والسلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف
المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى
المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه الصلوة والسلام
زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا لمحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من
الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم
وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء
من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله هو الذي
ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم الا اذى الاية
فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود و
مقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في
انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله من الذين هادوا سماعون
للكذب وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى
قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره واعتقده المؤمنون
يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين

ولما نزلت بشّر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بانّ الله
كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفّرون الناس عنه ويؤذونه
فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام
ضرّه وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل**
الوجه الرابع ما انباء به من القرون السالفة والامم البائدة و
الشرايع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ
من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي
صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا
انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل
بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم
وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم
عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه ذكرا
كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته
واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك
من الانباء وبدء الخلق وما في التورية والانجيل والزبور و
صحف ابراهيم وموسى مما صدّقه فيه العلماء بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق
له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد
من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على
تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم

أخبار

بما انطوت عليه صحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام وتعنيتهم
اياه من اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلام
لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح و
ذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرّم اسرائيل على نفسه
وما حرّم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلّت لهم فحرّمت عليهم ببغيهم
وقوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم
التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرّفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر
ذلك او كذّبه بل اكثرهم صرّح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده
وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن
باهت في ذلك بعض المباهتة وادّعى انّ فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة دُعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرّع ووبّخ ودعا الى احضار
ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده
ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا
سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الآيتين **فصل** هي الوجوه الاربعة
من اعجازه بيّنة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البيّنة في اعجازه
من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم
لا يفعلونها فما فعلوا وما قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم
الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحق الزجاج في هذه
الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم

هذه

فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها
رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن
تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه
اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن
الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو
محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد
من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه
وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية
المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران
وابوا الاسلام فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله فمن
حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك
ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما
نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم
انهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية ادخل في باب الاخبار عن
الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها
الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة
التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي
على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم
نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له

ولهذا

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع
تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به
قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان
هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال
للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده
فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح
عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في
المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم
الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك
اول ما وقر الاسلام في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى
الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت
الى قوله صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله
عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى
انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري
بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر
لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما
دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته

الايمان

روعة وهيبة تلتف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع
فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال
اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته
وكان يحيى بن الحكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا
من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه
على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة
فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما
بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات
الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن
العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة
خمس مائة عام وخمس وثلثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجة
قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان
وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة
البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء
يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه
على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح
بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على
عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في
اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه
بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة

لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة
مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في
الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك
حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون
تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى
عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ
به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين
سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه
لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم
قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد
من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان
علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم
ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام
المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها
كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
وقل يحييها الذي انشأها اول مرة ولو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ
والحكم واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله
جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل
شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال عليه الصلوة

والسلام ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا
مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما
بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل
من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن
قسم به اقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط
مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره
قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة
لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي
عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه
ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والآخرين وفي الحديث قال
الله تعالى لمحمد عليه الصلوة والسلام اني منزل عليك توراة
حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع
العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم
العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الآية
فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله
التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين
الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه
وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه
ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا

من كلام واحد وسورة منفردة ومنها انه جعله في حيز المنظوم
الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس
واوعى للقلوب واسمح في الآذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه
لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن
للذكر وسائر الامم لا تحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على
مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة
ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها
والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج
من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة
على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة و
توحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون
خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا
ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه
فتأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم
وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم
لمحمد وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر
من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي
الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد
هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على
اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص

الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة
التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا
انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها
داخل في باب بلاغته فلا يجب ان نعد فنا منفردا في اعجازه الا
في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد
من خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة
التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي
لا تنقضي وبالله التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ
الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة
على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه نا القاضي سراج
ابن عبد الله نا الاصيلي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا مسدد
نا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر
عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد
ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى
ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال رأيت الجبل بين فرجتي
القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش
سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر

فانه

فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد
آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا فاخبروهم انهم رأوا مثل
ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل
هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك
ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار
هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الاربعة
عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس
وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية
ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم
آية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما رواه
عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم
القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن
جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن
عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد
ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران
الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة
ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل
الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض
انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن
لا يجوز تمالؤهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر

لكنهم

في حدٍّ واحدٍ لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على
آخرين وقد يكون من قوم بضدّ ما هو من مقابلتهم من اقطار الارض و
يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات
في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئيّة وفي بعضها كليّة وفي
بعضها لا يعرفها الّا المدّعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية
القمر كانت ليلًا والعادة من النّاس بالليل الهدوّ والسكون
وايجاف الابواب وقطع التّصرف ولا يكاد يعرف من امور السّماء
شيئًا الّا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري
كثيرًا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتّى يخبر وكثير ما يحدّث الثقات
بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان
بالليل في السّماء ولا علم عند احد منها وخرّج الطّحاوي في مشكل
الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين انّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم
كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصلّ العصر حتّى غربت الشمس
فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اصلّيت يا علي قال لا
فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اللّهمّ انّه كان في طاعتك وطاعة
رسولك فاردد عليه الشمس بياض بياض بياض
قالت اسماء فرأيتها غربت ثمّ رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الجبال
والارض وذلك بالصّهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما
ثقات وحكى الطّحاوي انّ احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله
العلم التخلّف عن حفظ حديث اسماء لانّه من علامات النبوّة وروى
يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحق لمّا اُسري برسول الله

لفظة قالت بين لفظة الشّمس والبياض سهو من الناسخ صح

شرقها

صلّى الله عليه وسلّم واخبر قومه بالرفقة والعلامة الّتي في العير قالوا متى
تجيء قال يوم الاربعاء فلمّا كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
وقد ولّى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
فزيد له في النّهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل في نبع
الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث في هذا فكثيرة
جدًّا روى حديث نبع الماء من اصابعه صلّى الله عليه وسلّم جماعة من الصّحابة
منهم انس وجابر وابن مسعود نا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقرائتي
عليه نا القاضي عيسى بن سهل نا ابو القاسم حاتم بن محمّد نا ابو عمر بن الفخّار
نا ابو عيسى نا يحيى نا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك
رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحانت صلوة العصر فالتمس
النّاس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بوضوء
فوضع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذلك الاناء يده وامر النّاس
ان يتوضّؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضّأ النّاس
حتّى توضّؤا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء
فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلث
مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السّوق ورواه ايضا حميد
وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن
ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي
الصّحيح عنه من رواية علقمة بينا نحن مع رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اطلبوا
من معه ماء فاتي بماء فصبّه في اناء ثمّ وضع كفّه فيه فجعل الماء ينبع من

فجعل

بين اصابع النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين
يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا
ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور
من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف
لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان
بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم
الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم تجد الا قطرة في عزلاء شجب
فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما
هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان
النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب
جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين
اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس
بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي
صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره بإداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول
الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها
في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة
والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء

الى تكذيبه

الى تكذيبه لما جبلت النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على
باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماء
الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه
وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه
هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته
مما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك
وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا
من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى
الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس
الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما
ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم
في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا
وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا وانفسهم
وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن
شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب
ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة
وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه

تبض

ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فنشر بالناس حتى رووا وملؤا
كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين
رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي
قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بهم مُمِدًّا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر
حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه
اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال
والقوم زهاء ثلث مائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ
علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث
عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما
يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها
واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها
وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين
ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤوا اسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئا الا ملؤوه قال عمران ويخيل الي انهما لم يزدادا الا
امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي
فانا لم نرزأ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن
سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من
وضوء فجاء رجل باداوة فيها نقطة (نطفة) فافرغها في قدح فتوضأنا
كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش

تأخذ

نطفة

العسرة

العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه فرغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع
يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية
ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل
النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث
في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه فصل
ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا العذري
نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا سلمة بن شبيب نا الحسن
ابن اعين نا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه
حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه
ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم
ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر
بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى
الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر
فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان
عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة
وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم ادع ثلثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى

وعن ثابت رضي الله تعالى عنه مثله عن رجل من الانصار
وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول فيها ما شاء الله
فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ
ممن قدم معه عليه الصلاة والسلام لذلك وبقي بعدما شبعوا
مثل ما كان في الاناء صح

تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا وما خرج
منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن
سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن
ابن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثين ومائة وذكر الحديث انه عجن
صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلثين
ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا
اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد
الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر
ابن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق
ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته
كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه
وبقي منه وعن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو اهل
الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما
شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن
ابي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا
اربعين منهم من ياكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام
فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه
لم يشرب وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان
يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم

تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه
وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا
او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا
زهاء ثلث مائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين
وضعت كان اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن
علي ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه
وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة
ثم له عليه الصلوة والسلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها
لتفيض قالت فاكلنا منها الى ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربع
مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم
منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن
رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع
مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل
لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم فجاء
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى
فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي
رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال
ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فادخل
يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا

قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت
به فاكلت واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر
كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك
وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع
فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه
وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق
انا اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه
وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر
حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال
بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها
واشرب حتى قلت لا والذي بعثك ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله
وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي
صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد
عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة
وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا و
افضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه
وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من
اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك
فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى
فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال

١٨٢

كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه النبي
وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن
لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء
ثلثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى
وضعت شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين
رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى
حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من
التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع
مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما
انكر فصل في كلام الشجر وشهادتها بالنبوة واجابتها دعوته
حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر
الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي نا احمد بن عمران
الاخنسي نا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي
فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال
وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله فقال من يشهد لك على ما تقول قال هذه
الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت

بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى
مكانها وعن بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم
آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال
فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام
عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها
فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الاعرابي
ايذن لي اسجد لك قال لو أمرت احدا ان يسجد لاحد لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها قال فايذن لي أقبل يديك ورجليك
فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به
فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي
باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر
انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما
علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة
يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى
اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما
فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما

على ساق

على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه
هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال
هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل
لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك
لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن
والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي
قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى
عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضما
وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى
ابن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى
منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان
تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه
وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا
الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث او نحوه قال القاضي

ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة
ابن زيد وانس بن مالك وعلى بن ابى طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه
القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت
فى انتشارها من القوة حيث هى وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار
فى غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين
حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهى هناك معروفة معظمة
ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا
اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة
من وراء الوادى فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه
قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن على نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل
قال اللهم ارنى آية لا ابالى من كذبنى بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه
صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر
ابن اسحق ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية فى
شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت وعن الحسن
انه عليه الصلوة والسلام شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه
وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت وادى كذا فيه
شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى
انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال
يا رب علمت ان لا مخافة على ونحو منه عن عمر وقال فيه ارنى آية لا ابالى
من كذبنى بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال
لاعرابى ارأيت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد انى رسول الله

قال نعم

قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه
الترمذى وقال حديث صحيح **فصل فى قصة حنين الجذع** ويعضد
هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو فى نفسه مشهور منتشر والخبر
به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم
ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدرى وبريدة
وام سلمة والمطلب بن ابى وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث الترمذى قال
وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل
فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع
له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفى رواية انس حتى
ارتج المسجد بخواره وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفى بها
رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذى نفسى بيده لو لم التزمه
لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا فى حديث
المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفى حديث ابى فكان اذا صلى النبى
صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابى فكان
عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفراينى ان النبى
صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه
ثم امره فعاد الى مكانه وفى حديث بريدة فقال يعنى النبى صلى الله عليه

وسلم إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل
خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء
الله منك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال
بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه
فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار
دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد
الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه
فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال
عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي
كرب وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحق كرب
بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو
الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل
بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة
عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل فهذا حديث
كما تراه خرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من
التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن وبدون
اعتنى بهذا الباب والله المثبت للصواب فصل ومثل
هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نا
القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط نا المهلب أبو القاسم نا أبو الحسن القابسي
نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا محمد بن المثنى نا أبو أحمد الزبيري نا إسرائيل
عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام

وهو

وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ النبي
صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن
ثم في أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف
عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلوة والسلام
إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود وعن عائشة
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس إذ اشتمل عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره
إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحائط البيت آمين آمين
وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه
جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم
فسبح وعن أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر و
عثمان أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق
وشهيدان ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير
وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر في حراء أيضا عن عثمان
قال ومعه عشرة من الصحابة أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال

ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة
وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط
يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك وانت على ظهري فيعذبني الله فقال
له حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار
نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون
وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب
في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية
فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه
حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل
يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن
ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان
الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك
قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد
الا لنبي وذكر القصة ثم قال فاقبل صلى الله عليه
وسلم غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء
الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه فصل في الآيات

وتعلمه

في ضروب

في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك نا ابو الحسين
الحافظ نا ابي نا القاضي ابو يونس نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن
قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا ابو العلاء احمد بن
عمران نا محمد بن فضيل نا يونس بن عمرو نا مجاهد عن عائشة
قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ
جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله فقال
واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن بك هذا الضب وطرحه
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد
قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي
البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال
فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد
افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن
ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري
بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي
منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني
وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس

من ٥

فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم
قال صدق والحديث فيه قصة وفيه طول وروي حديث الذئب عن ابي
هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا
على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا
قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم
وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي
بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه و
مضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم
يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها
فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان
صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع
وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي
سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب
وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الحرم فانصرف
الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة
يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا
الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام
ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا

طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت تجالس
فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله
عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها
لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان
الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت
كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه و
سلم حائطا انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط
غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث
وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد
له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله
ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط
الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع
مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض
شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد
الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه
وسلم سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق
العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها للنبي
صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها

وقولهم

في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداثهم لها انك محمد وانها لم يأكل ولم تشرب
بعد موته حتى ما تتذكره الاسفراييني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت
النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن انس وزيد
ابن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة الغار امر
الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين
فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر ان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى
الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن
قرط قرب الى النبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها
يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة كان النبي صلى
الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك
قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني
حتى اذهب فارضعهما وارجع قال او تفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله
الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء
وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب
ما روي في تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى من الطريق وذكر في منصرفه
مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت فخرج الى جزيرة
فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني

رسول الله

حتى

بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه الصلوة والسلام باذن
شاة لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما
وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له ما اسمك قال اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه
فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه
وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت
عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي
العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد
اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها
فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه
الصلوة والسلام وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله
فيك حتى نفرغ من صلوتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى
الله عليه وسلم وبهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل
رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه اليهم والحديث في هذا الباب
كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة

فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة

حدثنا ابو الوليد هشام بن

ويلحق

احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو
عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا نا ابو علي
الحافظ نا ابو عمر الحافظ نا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى نا احمد بن
سعيد نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان
عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله
عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها
مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت
قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك
قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت
قتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا انقتلها قال لا وكذلك
عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر
ابن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وكذلك
ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن انس
انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالآن اوان
قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة
وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات

في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر
مثله الا انه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا
وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث
الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف
ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله
تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجرة وحروف واصوات يحدثها الله فيها
ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو
مذهب الشيخ ابو الحسن والقاضي ابي بكر وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحيوة بها اولا
ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم
اذ لم نجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها
مع عدم الحيوة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط
الحيوة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي
الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب
على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع
والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة
امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم
بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواة شيئا من
ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والموفق الله
وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي
بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروي
عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي

يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم
راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت
هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها
باسمها يا فلانة احيي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا
حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار
توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناه فقالت مات ابني قلنا
نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء
ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان
كشفنا الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله
الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق
عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن
النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع
وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا
انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي
وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا
بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة
الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات

اخبرنا

اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال انا ابو اسحق
الحبال قال انا ابو محمد بن النحاس نا ابن الورد عن البرقي عن ابن
هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق نا ابن شهاب وعاصم بن
عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا قال
سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني
السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة
يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن
عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد
الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي
قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن
حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري
قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسئلك
واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك
ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عز
بصره وروي ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل
عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به
فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن
فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما

شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرأيته
يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في
نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل في شجة
عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح
باريا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد
بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى
ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذا انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه
واشتكى علي بن ابي طالب رضه فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو
جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن
روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء
لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها
بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس
وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع
ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفأت القدر على
ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ
لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على
السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال

يطحنها

يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته جارية طعاما وهو
يأكل قديدا فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما
اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل
شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء
ما لم تكن امرأة بالمدينة اشد حياء منها فصل في اجابة دعائه
وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة
بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت
الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه نا ابو القاسم
حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف
نا محمد بن اسماعيل نا عبد الله بن ابي الاسود نا حرمي نا شعبة عن قتادة
عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم
اكثر ماله وولده وبارك فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله
ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي
رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي
هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد
الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت
ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن
اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه
على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في

حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة ببعير فيها
سبع مائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها
وباقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال
الخلافة ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا
استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او ابي جهل فاستجيب له في عمر
قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في بعض
مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم
حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر
فدعا فصحوا وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن
وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى
وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه
في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله
ابن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا
للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة
ابن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين
الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي
مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاءت بها اعصار ريح
حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى
الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف
ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته الله
ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية

وقال للنابغة قتادة افلج وجهك اللهم باركه له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة فكان ابن خمس عشرة سنة صح

مثلة

لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب
اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء
في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى
استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين
مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس
رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلوة ان
يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل رآه ياكل بشماله كل
بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى
فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه
على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث
والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم
ابن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه
وسلم اذ رآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على
محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته
مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي
وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه
وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال
اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي
رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل في كراماته و
بركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد نا ابو

ذر الهروى اجازة ونا القاضى ابو على سماعا والقاضى ابو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن وغيرهما قالوا نا ابو الوليد القاضى نا ابو ذر نا ابو محمد وابو
اسحق وابو الهيثم نا الفربرى نا البخارى نا يزيد بن زريع نا سعيد عن
قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان يقطف او به قطاف وقال
غيره يبطاء فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس
جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك
بفرس لجعيل الاشجعى خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها
نشاطا وباع من بطنها باثنى عشر الفا وكانت شعرات من شعره فى قلنسوة
خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفى الصحيح عن اسماء
بنت ابى بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها وحدثنا القاضى
ابو على عن شيخه ابى القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من
قصاع النبى صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون
واخذ جهجاه الغفارى القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح
الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب
من فضل وضوءه فى بئر قباء فما نزفت بعد وبزق فى بئر كانت فى دار
انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل اسمه
بيسان وماءه ملح فقال بل هو نعمان وماءه طيب فطاب واتى
بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين
لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة

تهدى فيها للنبى صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبى صلى الله عليه وسلم
ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هى مملوءة سمنا فيأتيها بنوها
يسألونها الادم وليس عندهم شئ فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت
تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل فى افواه الصبيان المراضيع فيجزئهم ريقه
الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه
على ثلثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من
ذهب فقام عليه الصلوة والسلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها
عمر فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبى صلى الله عليه وسلم
وردها فاخذت وفى كتاب البزار فاطعم النخل فى عامه الا الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها
لمواليه اربعين اوقية وبقى عنده مثل ما اعطاهم وفى حديث حنش بن
عقيل سقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شربت
اولها وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا
عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء
فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضئ لك
من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون
حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة
جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد فى
يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده

يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف
يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب
نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير
كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد
ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء لبن بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة
ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى
مثل هذه القصة عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب على طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو
وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس
قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان
يدعى الاغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح
وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان
لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على راس
حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه
والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف
كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على راس صبي به عاهة فبراء

حضرتهما ترك افواه

واستوى

واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا واتاه
رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبراء وعن
طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في
صدره الا ذهب المس الجنون واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى
بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون
القذاء عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط
ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا
بعد وما يروى عنه في هذا كثير فصل ومن ذلك ما
اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر
لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق
معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري
اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر نا ابو علي التستري نا ابو عمر
الهاشمي نا اللؤلؤي نا ابو داود نا عثمان بن ابي شيبة نا جرير عن الاعمش
عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى يوم الساعة الا حدثه حفظه
من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون
منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه
عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ
من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو

ذرّ لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرّك طائرٌ جناحيه في السماء
الا ذكر لنا منه علما وقد خرّج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله
عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى
مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وفتح خيبر على يدي علي في غد
يومه وبما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتون والاختلاف والاهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في
اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر
الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا
المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم ردّ الله بأسهم بينهم وسلّط شرارهم
على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس
حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم
ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب
الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد
اقترب وانه زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته
ما زوي له منها فكذلك كانت امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق و
البحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في
الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق
حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب

وانهم

وهي الأولى

وغيره

وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي
حديث آخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق
قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم
قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية
ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس
بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما
ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها
الذي يخضب هذه منه اي لحيته من رأسه وانه قسيم النار
يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار فكان فيمن عاداه الخوارج
والناصبة وطائفة ممن تنسب اليه من الروافض كفروه وقال
يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم
يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان
الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا ومحاربة الزبير لعلي ونباح كلاب
الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما
كادت فنبحت على عائشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله
الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل
للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع
المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة
وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل
عن بعض فكان سمرة آخرهم هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
فيها وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا

وقال في حنظلة الغسيل وقد استشهد عند رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا
واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء صح

الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وأن
مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقا به وأنذر بالردة
وبان الخلافة بعده ثلثون ثم ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي
وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون
ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر
بشان أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون
في امته ثلثون كذابا فيهما ربع نسوة وفي حديث آخر ثلثون دجالا كذابا
آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك أن احدهم
يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى
يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن صح وقال لا يأتي زمان الا والذي
بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة
راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية
والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى
يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم
سيلقون بعده أثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي
فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة
يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب
لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت
المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة

وأن

وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح
في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك
وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة
فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم
بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث
هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب
حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه
على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه
وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر
والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان
كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف
وفي عتبة بن ابي لهب انه يأكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال
عظيمتين وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون واخبر
بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت
النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من
كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا
ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا
اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث
وبعيشته وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا
اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين

بالكتف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه
عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على
حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا البست سوارى كسرى فلما اتي بهما
لعمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن
الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال
له الوليد لهو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم
الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل
ابن عمرو وعسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة
مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب
بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر
انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حيوته و
بعد موته كما قال عليه الصلوة والسلام الى ما اخبر به جلساءه
من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم و
قولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله
لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر
الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع
نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة
واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني
هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال

والهراة

ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته
اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم
بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون
ولم يأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب
يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية
ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان
يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث
التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة فصل في
عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه قال الله تعالى والله يعصمك
من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله
بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال
انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية اخبرنا
القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو محمد بن
عبد الله المعافري قالا نا ابو الحسين الصيرفي قال نا ابو يعلى البغدادي
نا ابو علي السنجي نا ابو العباس المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا عبد
ابن حميد نا مسلم بن ابراهيم نا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن
عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس
فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال
لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي

صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها
فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت
يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث
صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه
وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت
له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان
سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت
الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف مني
فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية وفي رواية الخطابي ان غورث
ابن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو
قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب
من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده والزلخة وجع الظهر
وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف
قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر
عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطأها كثيبا اهيل وذكر

فارعدت

العضاة

ابن اسحق

ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله
مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في
المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا
ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا
بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر
فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى
اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا
مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع الى اهله ثم تواعدنا
ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا
وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فاستفتح وقرا الحاقة
ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال
انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة
المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجتمعت
على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد
ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم
وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الآيات ومن
العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل
الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان
يولد محمد ووقعت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد
لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين

الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه
حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم
فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى
سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت
وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا
فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها
مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا
كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه
وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا
وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور
النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد
يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه ما يدري ما يصنع وانسي ما
خرج حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة
وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف
لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شانه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما
رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني
المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره
فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه

فلم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته
اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث
عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه
وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه
القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين
في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي
ابن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر
حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير
ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا
صلى الله عليه وسلم يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي
صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على
عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت
على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق
اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه الصلوة والسلام
تلك الملئكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي
صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة ويروى
ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه

يابا

وقال لى ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفى واقيه بنفسى ولو لقيت ابى تلك الساعة لاوقعت به دونه صح

فقال اليوم ادرك ثارى من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الى شواظ
من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بى النبى صلى الله عليه
وسلم فدعانى فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الى فما رفعها الا وهو
احب الخلق الى وعن فضالة بن عمير اردت قتل النبى صلى الله عليه
وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت
نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شىء فضحك واستغفر لى
ووضع يده على صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله
شيئا احب الى منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد
بن قيس حين وفدا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل
عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه فى ذلك قال له والله
ما هممت ان اضربه الا وجدتك بينى وبينه افاضربك ومن عصمته
له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم
بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ امره ومن
ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه الصلوة والسلام

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته من امور شرايعه
وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان فى
الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية
من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعى سيرهم و
سرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف آرائهم

بامور

والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة و
معارضة كل فرقة من الكتابيين بما فى كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت
علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب
وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحاتها والحفظ لايامها
وامثالها وحكمها ومعانى اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى
المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض
والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذى لا تناقض فيه ولا
تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب
وكل شىء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من
جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه
صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من
الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم
واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى
الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل
هذه المعارف كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة واصولا
فى علمهم كقوله عليه الصلوة والسلام الرؤيا لاول عابر وهى على
رجل طائر وقوله الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه
ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا
المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روى عنه فى حديث ابى هريرة
من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا

مما لا يعلم ولا يقوم بجملة ولا بعضها الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب والمثافنة بعض هذا صح

لا نصحه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما
تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة
وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما
ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبإ أرجل هو ام امرأة
ام ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة
الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت
العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير
رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها
وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في
حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف
وخمس مائة في الميزان وقوله وهو في موضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين
المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك
وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله
عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار
بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن
معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلوة والسلام فقال له ألق
الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم
وحسن الله ومد الرحمن وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه الصلوة

وجود الرحيم

والسلام

والسلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما
علمه عليه الصلوة والسلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه
لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة
بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة
اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم
بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف
على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله امي لم يكتب
ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم
علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها
قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية
انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر
والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه
صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه
ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير
الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان
انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما
لا يعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله

عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند
المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا
عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة
تأليفه ونظمه فكيف باعجمي ألكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي
او يعيش او جبر او يسار على اختلاف في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم
مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد
عليه الصلوة والسلام وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك
وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة
حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه
ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار
كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت
اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين
اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا
في سفرة او سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف
الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا
خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او
كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به في معجز القران قاطعا لكل
عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر فصل ومن خصايصه
عليه الصلوة والسلام وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملئكة والجن
وامداد الله له بالملئكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم
قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية وقال اذ يوحي

بدء

ربك الى الملئكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم اني ممدكم الآيتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية
حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه سماعا عليه نا ابو الليث السمرقندي قال نا عبد
الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ ثنا ابي
نا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى
من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر
في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملئكة وما شاهده من كثرتهم
وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد رآهم بحضرته
جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده
جبريل في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في
صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملئكة
خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب
ورأى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء و
الارض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملئكة تصافح عمران بن الحصين
وأرى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا
عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم
برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية
ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه فقال

ابي

فرأى اصحابه جبريل في صورة
رجل يسأله عن الاسلام والايمان صح

نعمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده
في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة
فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى
وقال عليه الصلوة والسلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي
فامكنني الله منه فاخذته فاردت اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى
تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
الآية فرده الله خاسيا وهذا باب واسع **فصل** ومن دلائل نبوته
وعلامة رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء
اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم
الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين من تبع
والاوس بن حارثة وكعب بن لوي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما
ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن
نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم
صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل مما
قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام
وابني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء
يهود وبحيرا ونصطور (نسطور) الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف
الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران
وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل صاحب
دومة عالم النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه

الكتاب

وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من
علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا
كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته
وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم
بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة
على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم
اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس
والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق
وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجدل بن جدل
الكندي وابن خلصة الدوسي وسعدى بنت كريز وفاطمة بنت النعمان
ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت
رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح النصب واجواف الصور وما
وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في
الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب
ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده
وما حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه رافعا رأسه عند ما وضعته
شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته
وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور
عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن
عوف لما سقط عليه الصلوة والسلام على يدي واستهل سمعت قائلا

يقول رحمك الله واضاءا لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم
وما تعرفت حليمة وزوجها ظيرا ٥ من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها
وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجايب
ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية
وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي
طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم
يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه
وسلم صقيلا دهينا كحيلا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد
الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام
والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره
في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه
الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك
قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره
وفي رواية ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت
ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره ومن ذلك انه
نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما
حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه
وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل
لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على
جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه
بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته

وبين

وقالت ام ايمن حاضنته ما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا

وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة صح

وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما
اشتمل عليه حديث الوفاة من كرامته وتشريفه وصلوة الملئكة على
جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم
يستاذن على غيره قبله وندائهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا
القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملئكة
اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته
في حيوته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل قال القاضي ابو الفضل قد اتينا في هذا
الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة
في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا
واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد
ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما
ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار
وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة
ومعجزات نبينا اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها
وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد
نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات
من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة
فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او آية في قدرها وذهب بعضهم الى ان
كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة

وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة من
مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا
كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد
بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزئ القرآن على نسبة عدد
انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه
ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من
هذا العدد معجزان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز
أخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة
الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى
ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن
فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث
الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه الصلوة والسلام في هذه الابواب
وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح
معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم
وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عم غاية علم اهله السحر
بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم فجاءهم منها ما خرق
عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عم اغنى ما
كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما
لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا
طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر

والكهانة

والكهانة فانزل عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من
الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم
الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه
ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث منهجه
والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة
ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة
وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من
الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة و
الحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه
التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه
الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة
الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه
وتأمل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر
عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر
فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس اشد طمأنينة الى عين اليقين منها الى علم
اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت
بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه
الصلوة والسلام بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا القاضي
ابو الوليد نا ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا نا الفربري

نا البخاري نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة رضه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي من الانبياء الا اعطي من الايات
ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجوا
ان اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى
وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه
الصلوة والسلام الى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد
رام المعاند لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة
حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن
كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه
عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا
او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الاول اخلص وارضى
وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضى وجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها
او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم
ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه و
بين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء
والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع
والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين آية للعجز عن الاتيان
بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس

مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا
ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في نفسها كقلب العصا حية
ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص
صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك
صحيح النظر واما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس
كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان
يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم
فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر آية واظهر
دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آياته
على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب
وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه
بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من
القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من
الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم
وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح
مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم
من الايات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم ما
لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى
بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما

كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من امن بالله وحده من قبل
الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما
جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فهموا حكمته و
تبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم
ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم
وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له
رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا
من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني
عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام

قال القاضي ابو الفضل وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب
على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه
وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة والتسليم
وزيارة قبره الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب
الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله و
النور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله
ورسوله وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية فالايمان
بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح
اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراتي عليه نا الامام ابو علي الطبري

ناعبد

نا عبد الغافر الفارسي نا ابن عمرويه نا ابن سفيان نا ابو الحسين نا امية بن
بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن
ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت ان
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به وان محمدا رسول الله وقد
زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملئكته
وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة
واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب
وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى
كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما
لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا
بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام
المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام
اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى
النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال
هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث

ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا
ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا
بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله والايمان به صلى الله
عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة
الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما
قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك
شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع
التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له
كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله
بن عمر رضي الله تعالى عنهما امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله صح

جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان
أخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت
للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة
به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه الصلوة والسلام
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في
القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو
الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما
يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة
فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة
من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى
يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان
وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو
الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان
وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق
لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه
لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد
ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا
خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله
تعالى فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه
فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول وقال

واطيعوا

واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهيكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول الآية وقال وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته
بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون
والائمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا
وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من
يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن
شرايع الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي
يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم
عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقرائتي
عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد
ابن يوسف نا البخاري نا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري انا ابو
سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة
الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به
وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم
في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته

بشئ

حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه الصلوة والسلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة كل امتي
يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن
عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه الصلوة والسلام مثلي
ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش
بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا امكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به و
مثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من
بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من
المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة
والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد
فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته
والاقتداء بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الى قوله
تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد
وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع
لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل
هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم

قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان
الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه
وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم
له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان
اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون
الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج
معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته (صوابه) فافعلوا ما امركم به اذ
محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم
عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق
ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان
المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه
ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه
وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح
كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول
الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال نا ابو الاصبغ
عيسى بن سهل ونا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه قراءة مني عليه قالا
نا حاتم بن محمد قال نا ابو حفص الجهني نا ابو بكر الاجري نا ابراهيم بن
موسى الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن

اذ

عليهم

خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن
سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل
ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه الصلوة والسلام لا الفين
احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه
فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء
اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه
الصلوة والسلام انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن
وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري و
يتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه الآية وقال عليه الصلوة والسلام من اقتدى بي فهو مني ومن
رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة
فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة
وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه الصلوة والسلام عمل قليل في سنة خير
من عمل كثير في بدعة وقال عليه الصلوة والسلام ان الله ليدخل العبد الجنة

بالسنة

بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه الصلوة والسلام ان
بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث وسبعين
كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم
واصحابي وعن انس قال عليه الصلوة والسلام من احيا سنتي فقد احياني ومن
احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر
مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة
ضلالة لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف والائمة
من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران
موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال نا ابو عمر الحافظ
نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح نا
يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال
عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة
الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله
بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن
عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده
سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة
على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من
خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها

واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن بن ابى الحسن عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة وقال
ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرائض واللحن اى اللغة وقال ان ناسا
يجادلونكم يعنى بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفى
خبر حين صلى بذى الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصنع وعن على حين قرن فقال له عثمان ترى انى انهى الناس
عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقول احد من الناس وعنه الا انى لست بنبى ولا يوحى الى ولكنى اعمل بكتاب
الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكان ابن مسعود يقول القصد
فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة وقال ابن عمر صلوة السفر ركعتان
من خالف السنة كفر وقال ابى بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه
ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من
خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله فى نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة
قد يبس ورقها فهى كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها
الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا فى
سبيل وسنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة وانظروا ان
يكون عملكم ان كان اجتهادا واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه
هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة

الى عماله ونوابه

ما استطعت

فى نفسه

فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم
الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء فى قوله تعالى فان تنازعتم فى شىء فردوه الى
الله والرسول اى الى كتاب الله وسنة رسول الله وقال الشافعى
ليس فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر
الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورئى عبد الله بن عمر يدير ناقته
فى مكان فسئل فقال لا ادرى الا انى رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيرى من امر السنة على
نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة
وقال سهل التسترى اصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبى صلى
الله عليه وسلم فى الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص
النية فى جميع الاعمال وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه
الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى ان احمد بن حنبل قال
كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة
قائلا لى يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك
اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل ومخالفة امره
وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد عليه من الله بالخذلان والعذاب
قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابى

جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا نا ابو القاسم حاتم بن
محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو الحسن بن مسرور الدباغ نا احمد ابن ابي
سليمن نا سحنون بن سعيد نا ابن القاسم نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة و
ذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير فلا يناد ذ
الضال فاناديهم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك
فاقول فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه
فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت
عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه ، زاد في حديث المقدام
الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال
عليه الصلوة والسلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال
ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه الصلوة
والسلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضه لست تاركا شيئا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان
تركت شيئا من امره ان ازيغ الباب الثاني في لزوم محبته قال الله
تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام
محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه الصلوة

والسلام

يقرع

والسلام اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله
واوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن
ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على
غير واحد قال نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا المروزي نا ابو
عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا يعقوب بن ابراهيم نا ابن علية عن عبد
العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة
نحوه وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة
الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا
لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب
رضه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي
التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي
من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر
قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال
ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث
فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا ابو زيد المروزي
نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة
عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلوة
ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت
وعن صفوان بن قدامة هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت
يا رسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني
أحبك قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى
الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه
وعن علي رضه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من
أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي أن
رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي
من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي
وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها
لا أراك فأنزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي
صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي وأمي أتمتع
من النظر إليك فإذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية
وفي حديث أنس ومن أحبني كان معي في الجنة **فصل** فيما روي عن السلف
والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي
الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة
نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو

كثوبان وصفوان وغيرهما

رآني بأهله وماله ومثله عن أبي ذر وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن
عمرو بن العاص ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو
يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من
المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن
قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي
عن أبي بكر أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام
أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام
أبي طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس أن تسلم
أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن ابن إسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها
يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته
قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن أبي طالب رضه كيف كان حبكم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب إلينا من
أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمإ وعن
زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز
تنفش صوفا وتقول على محمد صلوة الأبرار صلى عليه الطيبون
الأخيار قد كنت قواما بكا بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس

عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل
له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا نلقى الاحبة
محمدا وحزبه ويروى ان امراة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج
اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب
انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه و
انك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو
فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من
الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما
خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا
لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له و
قال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل
في علامة محبته صلى الله عليه وسلم انّ من احب شيئا آثره وآثر
موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في
حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه
واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله
وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب بآدابه في
عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على

هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد
في رضا الله تعالى حدثنا القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا محمد بن
محبوب نا ابو عيسى نا مسلم بن حاتم نا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه
عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس
في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي و
من احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف
بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه
الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه الصلوة
والسلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله
ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له
فمن احب شيئا اكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب
يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة
انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول
بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد
ابن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره
واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان

اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لايذكرونه الا خشعوا واقشعرت
جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة
له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن
احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته و
صحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض
من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال
عليه الصلوة والسلام في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما
وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد
احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن
ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لاتتخذوهم غرضا فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن
اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال في فاطمة انها
بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة في اسامة بن زيد
احبيه فاني احبه وقال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم
وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة
السلف في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين رأى النبي صلى
الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء
من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا
سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة

اذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض
الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته و
ابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى
لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
وهؤلاء اصحابه عليه الصلوة والسلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم
وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك
برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به عليه الصلوة والسلام
وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن وحبه
للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند
حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة
حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي
صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة
وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا
وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فان كان
يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه
وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع
المضار عنهم كما كان عليه الصلوة والسلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما و
من علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به
وقد قال عليه الصلوة والسلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني
منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد
الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك

فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلث مرات قال ان كنت تحبني فاعد
للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة
للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة
الله ومحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست
ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان
المحبة اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام كأنه التفت الى قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد
نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال
بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم
المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم مواطاة القلب لمراد الرب يحب
ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر
العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه
بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة
والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها
له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة
كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة
والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال
هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم والتشيع من امة في آخرين ما
يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس
او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه

فقد

فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه
الاسباب كلها في حقه عليه الصلوة والسلام فعلمت انه عليه الصلوة
والسلام جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة
والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من
الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك
قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم
وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار
وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا
واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال
اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين
اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية و
داعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه الصلوة
والسلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من
صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من
منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة
او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما

لابد من التعذيب ووقاه ما لا ينبغي من عذاب الجحيم اولى بالحب
واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر
من قوام طريقته او قاض بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم
شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب
واولى بالميل وقد قال على رضه في صفته عليه الصلوة والسلام
من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن
بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه فصل
في وجوب مناصحته عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من
سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه
نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار
نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد
عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله
قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال
الامام ابو سليمن البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح
له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة
الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن
ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة مأخوذ
من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه

قال ائمتنا النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم صح

فنصيحة

فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله و
تنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه و
الاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه و
تحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه و
الذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق
بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمن وقال ابو بكر
وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب
والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة
وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم التصديق
بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها
والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها
وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي
نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له
بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة
له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله الآية واما
نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال و
شدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته
ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته و
انحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته

والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما
ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه
وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح
لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم
اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور
المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم
عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في
امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير
جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم
وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الاية وقال يا ايها الذين
امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم
اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه

وقرئ تعززوه بزائين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء
الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب
قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا
له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه
وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا
بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك
والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال
واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم و
قال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته
انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق
صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته
وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه
بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء
بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان
ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الاية
الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على احد التاويلين قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم
الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل
نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل
ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة

كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف
جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن
شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم
وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في
منزله وخشي ان يكون حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي
الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير
الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا
وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت
هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار
وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان
الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى عن صفوان بن عسال انه قال بينا النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري يا محمد
يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين
هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم
وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها
كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى بكل حال وقيل كانت
اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون

عن قولها

عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة
وقيل غير هذا

فصل

في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام
وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي
بسماعي عليهما في آخرين قالوا انا احمد بن عمر نا احمد بن الحسن نا محمد بن عيسى
نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم نا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن
منصور نا الضحاك بن مخلد انا حيوة بن شريح نا يزيد بن ابي حبيب عن
ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا
فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من النبي صلى الله عليه وسلم
ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو
سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه وروى
الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر و
عمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا
ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى
اسامة بن شريك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما
على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام
القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه
له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون
عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا
بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها

واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده
وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش
اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم
قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما
يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه
فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمن
في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية
ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل
سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه
اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه
وفي حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة
كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافر وقال
البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخر سنتين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان
حال حيوته وذلك عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر
حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته
وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل

عن الامر

مؤمن

مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن
من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه
لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل وهذه
كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضهم نا القاضي ابو عبد
الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد
فيما اجازونيه قالوا انا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال نا ابو
الحسن علي بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج نا ابو الحسن عبد الله بن
المنتاب نا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر
امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل
ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح
قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما فقال ان الذين
ينادون الاية وان حرمته ميتا حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال
يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة
ابيك آدم عم الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك
الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقال مالك وقد
سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه
قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله
للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان

كحرمته

مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب
ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي
ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد
نسئله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد
وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت ارى الا على ثلث
خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم
فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد
كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر
الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه
دموع ولقد رأيت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك
ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم
الناس عنه وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل
والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم
فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي

اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من الانصات عند
قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله فصل في سيرة السلف في
تعظيم رواية رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه حدثنا الحسين
ابن محمد الحافظ نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن
الدارقطني نا علي بن مبشر نا احمد بن سنان القطان نا يزيد بن هرون نا
المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود
سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه
حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه
كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او
فوق ذا او ما دون ذا او قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية
وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن
قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث
فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل
الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له
الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن النبي صلى
الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون
يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال
ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن

محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا احدث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم توضاء وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف
كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا
الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه و
تعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه
الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة
متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او قائما او مستعجلا وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله
ابن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت
منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث
فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ادب

[Margin notes: ... ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا
على غير وضوء وكره قتادة عن النبي ان
الا ان الاعمش اذا احدث وهو على غير وضوء
تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة
صح صح صح]

[Margin note: لدغتني عقرب ست عشرة مرة وانا صابر
في جميع ذلك صح]

[Margin: الحميد]

وذكر ان هشام بن الغازي سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني
سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان
الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا تقرا احاديث النبي
صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان
الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم فصل
ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات
المؤمنين ازواجه كما حض عليه عليه الصلوة والسلام وسلكه
السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد
ابن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسن المقري
الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي نا حاتم هو
ابن عقيل نا يحيى هو ابن اسمعيل نا يحيى هو الحماني نا وكيع عن ابيه عن سعيد
ابن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلثا قلنا لزيد
من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس
وقال عليه الصلوة والسلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا
كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال
عليه الصلوة والسلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد
جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض
العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا

[Margin: لزيد]

عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابى سلمة
لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وذلك فى بيت
ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره
ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وعن سعد بن ابى وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبى صلى الله عليه
وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلى وقال
النبى صلى الله عليه وسلم فى على من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك
الا منافق وقال للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان
حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمى فقد آذانى وانما عم الرجل
صنو ابيه وقال للعباس اغد على يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم
بملاءة وقال هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم
من النار كسترى اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وكان يأخذ بيده اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم انى احبهما فاحبهما
وقال ابو بكر رضه ارقبوا محمدا فى اهل بيته وقال ايضا والذى
نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الى ان
اصل من قرابتى وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا
وقال من احبنى واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما
وامهما كان معى فى درجتى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من
اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال
عليه الصلوة والسلام لام سلمة لا تؤذينى فى عائشة وعن عقبة

ابن الحارث

ابن الحارث رأيت ابا بكر وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابى شبيه
بالنبى ليس شبيها بعلى وعلى يضحك وروى عن عبد الله بن حسن
ابن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى اذا
كانت لك حاجة فارسل الى او اكتب فانى استحيى من الله ان يراك
على بابى وعن الشعبى صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له
بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه
يا ابن عم رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن
عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن
عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدى فقيل له هو
محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الارض وقال
لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعى
دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر
ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه بين ثيابه ومشى بها حتى
اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها
ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله فى ثلثة الاف ولاسامة
ابن زيد فى ثلثة الاف وخمس مائة قال عبد الله لابيه لم فضلته
فوالله ما سبقنى الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبى وبلغ معاوية ان كابس
ابن ربيعة يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه

من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب
لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مالكا
لما ضربه جعفر بن سليمن ونال منه ما نال حمل مغشيا عليه دخل عليه فقال
الناس فافاق اشهدكم انى جعلت ضاربى فى حل فسئل بعد ذلك فقال انى
خفت ان اموت فالقى النبى صلى الله عليه وسلم فاستحيى منه ان يدخل بعض
آله النار بسببى وقيل ان منصورا اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله
والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى الا وقد جعلته فى حل لقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتانى ابو بكر لقرابة
وعمر وعلى لبدأت بحاجة على قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الى من ان اقدمه عليهما وقيل
لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل
له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
رأيتم آية فاسجدوا واى آية اعظم من ذهاب ازواج النبى صلى الله عليه
وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبى صلى الله عليه و
سلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت
حليمة السعدية على النبى صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى
حاجتها فلما توفى وفدت على ابى بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك

فصل ومن توقيره وبره عليه الصلوة والسلام توقير اصحابه
وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم و
الاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم
والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة كالرافضة

والمبتدعين

والمبتدعين القادحة فى احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك
فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب
المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمض
عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم
ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه الصلوة والسلام اذا ذكر
اصحابى فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الآية وقال لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا
القاضى ابو على نا ابو الحسين وابو الفضل نا ابو يعلى نا ابو على السنجى نا
محمد بن محبوب نا الترمذى نا الحسن بن الصباح نا سفين بن عيينة
عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن حذيفة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى
ابى بكر وعمر وقال اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابى كمثل الملح فى الطعام
لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم
فمن احبهم فبحبى احبهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا اصحابى
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال
من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابى فامسكوا وقال فى حديث جابر

إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار
منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي
وفي أصحابي كلهم خير وقال من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر
فقد أبغضني قال مالك بن أنس وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس
له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الآية قال
من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال
عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم قال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام
الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء
بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء
على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحدا
منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد
له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد
ابن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس إني راض عن
أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس إني راض عن عمر و(عن علي) وعثمان وطلحة
والزبير وسعد و(سعيد) وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس
إن الله غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس احفظوني في أصحابي و
أصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في
القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية
فغضب وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معاوية
صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله وأتي النبي صلى الله عليه وسلم

بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فأبغضه الله وقال
صلى الله عليه وسلم في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من
محسنهم وقال احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم
حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه
ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من
حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في أصحابي ورد
علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني إلا من بعيد
قال مالك هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله
به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم و
يستغفر كالمودع لهم وبذلك أمره الله وأمر النبي صلى الله عليه وسلم
بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس أحد
من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلا له شفاعة يوم القيمة وطلب من
المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري
لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره

فصل ومن إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه
وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما
لمسه عليه الصلوة والسلام أو عرف به وروي عن صفية بنت نجدة
قالت كان لأبي محذورة قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت
الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد
مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة
خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوة

في بعض حروبه فشدّ عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعره عليه الصلوة والسلام لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين
ولهذا كان مالك لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطاء
تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي
كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل
هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلوية الزاهد وكان
من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على الطهارة منذ
بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك
فيمن قال تربة المدينة رديئة بضرب ثلثين درة وامر بحبسه
وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي
صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه الصلوة
والسلام في المدينة من احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة
الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان
جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضه
وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه الصلوة والسلام من حلف على
منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري
لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا • ولما
رأينا رسم من لم يدع لنا • فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا • نزلنا عن
الاكوار نمشي كرامة • لمن بان عنه ان نلم به ركبا • وحكي عن بعض

المريدين

المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشد متمثلا
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر • قمر تقطع دونه الاوهام • واذا
المطي بنا بلغن محمدا • فظهورهن على الرجال حرام • قربننا من
خير من وطئ الثرى • فلها علينا حرمة وذمام • وحكي عن بعض
المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي
الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي
قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل • وتردد بها جبرئيل
وميكائيل • وعرجت منها الملئكة والروح • وضجت عرصاتها بالتقديس
والتسبيح • واشتملت تربتها على جسد سيد البشر • وانتشر عنها
من دين الله وسنة رسوله • ما انتشر مدارس آيات • ومساجد
وصلوات • ومشاهد الفضائل والخيرات • ومعاهد البراهين
والمعجزات • ومناسك الدين • ومشاعر المسلمين • ومواقف
سيد المرسلين • ومتبوأ خاتم النبيين • حيث انفجرت النبوة
واين فاض عبابها • ومواطن مهبط الرسالة • واول ارض
مس جلد المصطفى ترابها • ان تعظم عرصاتها • وتتنسم نفحاتها
وتقبل ربوعها • وجدراتها • يا دار خير المرسلين ومن به هدي
الانام وخص بالآيات • عندي لاجلك لوعة وصبابة وتشوق
متوقد الجمرات • وعلي عهد ان ملأت محاجري من تلكم الجدرات
والعرصات • لاعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات • ازكى من المسك

المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي
التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم

وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي الاية
قال ابن عباس معناه ان الله وملئكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم
على النبي وملئكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم فهي من الله
رحمة ومن الملئكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث
صفة صلوة الملئكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه
فهذا دعاء وقال ابو بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة
وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية
صلوة الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلوة الملئكة الدعاء قال
القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين
لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي
امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على
النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك
من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره
وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك
ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك
ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث
السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما

فصل

اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم

فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء الأئمة
له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده
على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي
يسقط به الحرج وماثم له الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما
عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال
القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة
على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك
وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا
على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر
المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد
ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلوة وان من صلى
عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي
الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه الصلوة والسلام هو في الصلوة
وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى
الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلوته
فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزئه ولا سلف له في هذا القول

ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها
من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري
وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى
فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلوته
مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفين الثوري واهل الكوفة من
اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم وحكي عن مالك وسفين
انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي
فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع تعمد
تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست
من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد
الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي
وقد خالف الخطابي من بعض اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه
المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقها
الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض
الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع
الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي
اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس
فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى
التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر
وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير

وقد حكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال الوجوب والسنة والندب
صح

لم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس
وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا
السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر
يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلوة لمن لم يصل علي قال
ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف
اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل فيها علي
وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول
ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلى
الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم فصل
في المواطن التي يستحب فيها الصلوة والسلام على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد
التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي بقراءتي عليه قال نا الامام
ابو القاسم البلخي قال نا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي
عيسى الحافظ قال نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن يزيد المقرئ نا حيوة
ابن شريح نا ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة
ابن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلوته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله
تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد

باشاء ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب
قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء
حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضه عن النبي صلى الله عليه
وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على
النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسأل
الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه
ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى الشراب شربه او الوضوء توضأ
والا هراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال ابن
عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي
وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه
انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله
وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة
على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين لا يرد
وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة علي صعد
الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد
عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين
آمين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او
عند الاذان وقد قال عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده

فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون
الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب
الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس
فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى
الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس
عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة
ومن مواطن الصلوة عليه والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم
عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد
وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا
لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن
علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا
خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل

بنت محمد

المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا
هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه
ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن
الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي وآله في الرسائل
وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند
ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به
ايضا الكتب وقال عليه الصلوة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب
وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت نا ابو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد بن
اسمعيل نا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل
التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت
كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته
اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ
من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك
قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا
يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان
ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني

آدم والجن قال مالك في المجموعة واحب الى للمأموم اذا سلم امامه ان
يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل في كيفية الصلوة
عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي
عليه نا القاضي ابو الاصبغ نا ابو عبد الله بن ابو بكر بن واقد وغيره نا عتاب نا
ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن
ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل
ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم
انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك
على محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد
وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما
باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد
الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا
القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف
النحوي بقراءتي عليه قالا نا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال
نا ابو بكر المطوعي قال نا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي

دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن
عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن
ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما
سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل
بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري
سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف
صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك
الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات
الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك
واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا

بغير نكل في قدم ولا وهن في عزم صح

لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات
الاسلام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك
واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من
فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك
له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل
وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
وملائكته يصلون على النبي الآية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله
البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد
البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن
عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على
سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه
الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكأس
الاوفى من حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم فليقل اللهم صل على محمد

وتأنك الخبر

وعلى آل ابرهيم

وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره
واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين • وعن
طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى • و
ارفع درجته العليا • وآته سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى
• وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل
ما سألك لنفسه • واعط محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك • واعط
محمدا افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان
يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم
لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك و
بركاتك على سيد المرسلين • وامام المتقين • وخاتم النبيين • محمد عبدك و
رسولك امام الخير • وقائد الخير • ورسول الرحمة • اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم
انك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة • وتكثير الثناء عن اهل البيت
وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين وفي تشهد علي السلام على نبي الله • السلام على انبياء الله و
رسله • السلام على رسول الله • السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم
اغفر لمحمد • وتقبل شفاعته • واغفر لاهل بيته • واغفر لي ولوالدي
ومن ولدا وارحمهما • السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين •

السلام

السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي
الدعاء للنبي بالغفران فصل في فضيلة الصلوة على النبي • والتسليم
عليه • والدعاء له • حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي
يونس بن مغيث نا ابو بكر بن معاوية نا النسائي نا سويد بن نصر نا عبد الله
عن حيوة بن شريح قال نا كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى
نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه
من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة • فانها منزلة
في الجنة • لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سأل
لي الوسيلة • حلت عليه الشفاعة • وروى انس بن مالك ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر
حسنات وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام ان جبريل ناداني فقال
من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن
رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه الصلوة والسلام لقيت جبريل
فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه
ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك
ابن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل
المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس
بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة وعن ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام

من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب
وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة
صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن
كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال
يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت
بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم
اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان
زدت فهو خير قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك
وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته
ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فاتاني
ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك
يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد
الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة
يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له
وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما

اعتق

اعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم
علي وفي آخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن
ابي بكر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء
البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل

في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو
علي ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي
ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابراهيم
عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل
دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده
ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي
حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم
صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال
ان جبريل عم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات
فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله
وعن علي بن ابي طالب عنه عليه الصلوة والسلام انه قال البخيل الذي ذكرت
عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطأ به طريق
الجنة وعن علي بن ابي طالب رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم

صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله
ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم
وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة
عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن
جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي
صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب
حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي
صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان في ذلك المجلس فصل
في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من الانام
حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي نا الحسين بن محمد نا ابو عمر الحافظ
نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن
ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي
روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته
ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابي مسعود ان لله تعالى ملائكة سياحين
في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر
اكثروا من السلام على نبيكم صلى الله عليه وسلم كل جمعة فانه
يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت

صلوته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه الصلوة والسلام
حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد
من امة محمد يسلم ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا
صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه باسمه وعن
الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا
بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم وفي
فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم صح
حديث اوس اكثروا من الصلوة علي يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة
علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام
فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه
سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء
واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء
وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه
ليقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا * فصل * في الاختلاف
في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال
القاضي وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا يجوز الصلوة على غير النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وروي عنه لا ينبغي الصلوة على احد الا للنبيين
وقال سفيان يكره ان يصلي الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلي على احد من الانبياء سوى محمد وهذا

غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره
الصلوة على غير الانبياء ولا ينبغي ان نتعدى ما امرنا به وقال يحيى بن يحيى
لست اخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج
بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوة
عليه وفيه وعلى اله وازواجه ووجدت معلقا عن ابي عمران الفارسي روى
عن ابن عباس كراهة الصلوة على غير النبي قال وبه نقول ولم يكن تستعمل
فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة انه قال قال صلوا على انبياء الله
ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في
لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح
او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية وقال خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وقال النبي عم اللهم صل على ال ابي اوفى كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم
صل على ال فلان وحديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته
وفي حديث اخر وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل ال بيته وقيل الاتباع
والرهط والعشيرة وقيل ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذي حرمت
عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي عم من ال محمد قال كل تقي ويجي
على مذهب الحسن ان المراد بال محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلوته على النبي
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على ال احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض
وياتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله
عم لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي
حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي ابن عمر انه

كان

كان يصلي على النبي عم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى
الاندلسي وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب
فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار قال القاضي والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك
وسفيان وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلي
على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص
الله عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص
النبي عم وسائر الانبياء بالصلوة والسلام ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله
بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وايضا فهو امر
لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة
والشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي
في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه
من ذلك وذكر الصلوة على الال والازواج مع النبي بحكم التبع والاضافة
اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة النبي على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء
والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا
لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابو المظفر الاسفرايني من
شيوخنا وبه قال ابو عمر وبن عبد البر * فصل * في حكم زيارة قبره عليه
الصلوة والسلام وفضيلة من زاره وكيف يسلم ويدعو له وزيارة قبره

عليه السلام سنة مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر ثنا القاضي ابو
علي ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا الحسين ثنا ابو الحسين ثنا القاضي المحاملي
ثنا محمد بن عبد الرزاق ثنا موسى بن هلال عن عبد الله عن ابن عمر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك
قال قال عليه السلام من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له
شفيعا يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهية
للاسم لما ورد من قوله لعن الله زوارات القبور كفر وروها وقوله من زار قبري
فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور
وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد
في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى قال
ابو عمران انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي لاستعمال
الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس
بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ايضا
فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال الى قبره عليه السلام
يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد لا وجوب فرض
والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي عليه السلام
وانه لو قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى
اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة
وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل

وهذا يرده قوله نهيتم كنت نهيتكم
عن زيارة القبور صح

من

من شان من حج بيت الله الحرام المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة
في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره
وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي استند اليه
وينزل جبريل عليه السلام بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة
وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت
بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى
الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري
قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا
اتيت المدينة سترى قبر النبي عليه السلام فاقرأه مني السلام قال
غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك
اتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح
الصلوة فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف وقال مالك
في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه
الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط
لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل
القنديل الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم
على قبر النبي عليه السلام رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام
على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف ورئي

واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن
ابن قسيط والعتبي كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خلا المسجد
جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بايمانهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي
الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي
ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر
قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلوة
ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول
اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا من
ربنا صلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين
القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله تعالى فيهما وتسأله
تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك
وفي الروضة افضل وقد قال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف
بالقبر متواضعا متوقرا وتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر
وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل
والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد قبا وقبور الشهداء وقال مالك في
كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني
في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده

الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن
فاطمة رضي الله تعالى عنها بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي وقل
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل
على النبي وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك
وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل وفيه ويقول اذا خرج اللهم
اني اسئلك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان
الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد
صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون
اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها ايضا كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم
ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن
غيرها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي
ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم
المسجد فليصل على النبي عم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط
وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك
للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر
رسول الله عم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل
المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر

صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب
صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا
مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب
ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول
عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي
وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام
افضل واحتجوا بحديث ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث
ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا
بمائة صلوة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا
على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره صلى الله عليه
وسلم افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث
مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب
الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف
من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان
خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا
نحوه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين قبري (بيتي) ومنبري روضة من رياض الجنة
ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزادا ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري
على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت
سكناه على الظاهر مع انه روي ما يبينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت

هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري
قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينهما
خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله صلى الله عليه وسلم ومنبري على
حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان
يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة
من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة فيه
يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك
البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر
وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر
على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن
تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير
تنفي خبثها وتنصع طيبها وقال لا يخرج احد عن المدينة رغبة عنها
الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه صلى الله عليه وسلم من مات
في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا
عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول
بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من
النار وقيل كان يأمن من الطلب من احدث حدثا ولجأ اليه في الجاهلية
وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول
بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان

بين الله وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته
وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف
البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت
والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من
أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة
من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية
إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من
البشر ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف
صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول
الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح
والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أمتي خليلا
لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن
وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال صلى الله عليه وسلم إني لست
كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات
مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها
كل ذي همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين
بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الأول** فيما يختص بالأمور
الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم
قال القاضي أبو الفضل اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد

البشر

البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض
والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن
جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان
وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله
عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر
فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه
عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه
إن شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل **فصل** في حكم عقد
قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله
وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته
والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم
واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب
فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا
ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود
الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عم قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم عم في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى
ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل
له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثاني أن إبراهيم عم إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابته
دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله أو لم تؤمن أي ألم تصدق بمنزلتك

كتامة فقتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض
البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه
ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار
ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك
من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك
عند الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين وقرأت
على الحافظ ابي علي حدثك ابو العباس العذري قال نا ابو اسامة محمد بن
احمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن
ابن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت
سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا
الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا
استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة

اللون نسخه

قال القاضي ابو الفضل نسخه

وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي صح

وما اذكر

وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو
ان يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد
دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة
فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه
النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا
على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه او يجوز عليه وما يمتنع
او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افأين مات او قتل الآية وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال
تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في
الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون
مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال تعالى قل لو كان في الارض
ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في
سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى
واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء والرسل وسائط

والرسل ع

بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته
وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف
البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت
والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من
اوصاف البشر متعلقة بالملإ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة
من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من
البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف
صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول
الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح
والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عيه وسلم لو كنت متخذا من امتي خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن
وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال صلى الله عيه وسلم اني لست
كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات
مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها
كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين
بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم

قال القاضي ابو الفضل اعلم ان الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد

البشر

البشر لا يخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض
والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن
جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان
وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله
عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر
فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه
عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه
ان شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل

فصل

في حكم عقد قلب النبي صلى الله عيه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله
واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته
والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم
واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب
فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا
ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود
الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عم قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم عم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى
ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل
له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثاني ان ابراهيم عم انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته
دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اي لم تصدق بمنزلتك

مني وخلتك واصطفاءك الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمانينة
وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل
في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد
الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين
اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء
العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين
بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول
بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن
قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك
ولكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق
بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن
هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم
لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم
الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار
حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله قلبك
ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره
من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر
فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي ولم يسأل
ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل

المراد

المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على
هذا التأويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقيل
المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد
هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من
الذين كذبوا بايات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما يدعو اليه
فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل
هذه الاية قوله الرحمن فسئل به خبيرا المأمور ههنا غير النبي صلى الله عليه
وسلم ليسئل النبي والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول
لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك الذي امر غير النبي بسؤال
الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما دعا اليه
من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى وسئل من ارسلنا من
قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله
عليه وسلم قاله القتيبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف
الخافض وتم الكلام ثم ابتداء اجعلنا من دون الرحمن الى اخر الاية على طريق
الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسئل
الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال
فروي انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا
هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك
وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى
لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما

نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اى فى علمهم بانك رسول الله
وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر فى اول الآية وقد يكون
ايضا على مثل ما تقدم اى قل يا محمد لمن امترى فى ذلك لا تكونن من الممترين بدليل
قوله اول الآية افغير الله ابتغى حكما الآية وان النبى صلى الله عليه وسلم
يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت قلت للناس اتخذونى وامى
الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت فى شك فسئل تزدد طمانينة وعلما
الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به
فسئلهم عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك وحكى عن ابى عبيدة ان
المراد ان كنت فى شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا
استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك
ما قالته عائشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان
الرسل لما استيئسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى
هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير فى ظنوا عائد على الاتباع والامم
لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعى وابن جبير و
جماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك
من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء و
كذلك ما ورد فى حديث السيرة ومبدأ الوحى من قوله لخديجة لقد
خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله
خشى ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحى فينخلع قلبه او تزهق
نفسه هذا على ما ورد فى الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك

جبر

قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه
من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روى
فى بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا فى المنام ثم ارى فى
اليقظة مثل ذلك تأنيسا له صلى الله عليه وسلم لئلا يفجأه
الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية
البشرية وفى الصحيح عن عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء
وقال الى ان جاءه الحق وهو فى غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث
النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه
وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءنى وانا نائم فقال اقرأ
فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة فى غطه له واقرائه
اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عنى وهببت من نومى
كانما صورت فى قلبى ولم يكن ابغض الى من شاعر او مجنون قلت
لا تحدث عنى قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل لاطرحن
نفسى منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا
ينادى من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسى
فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين فى هذا ان قوله لما قال
وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل وقبل اعلام الله له بالنبوة
واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل

انه عليه الصلوة والسلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد
خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا واری ضوءا واخشی ان يكون
بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد
شاعر او مجنون والفاظا يفهم منه معاني الشك في تصحيح ما رآه وان كان
كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض
هذه الالفاظ لا يصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقاء الملك فلا يصح
فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه
فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه
اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف
رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد
الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة ان ورقة امر
خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك
اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث
الى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر
وآمنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة
لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا وقول معمر في فترة الوحي

لتحقق

يا ابن

فحزن

٢-٦

فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من
رؤس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا
ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد
يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب
من بلغه كما قال الله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا
ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله ان المشركين
لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه
وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر
او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه
ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو
هذا فرار يونس عم خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب
وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق
عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه
وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه
ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه
وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام
ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ
ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس
والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر

راويه
جابر بن عبد الله بن محمد بن عقيل عن
صح

لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستجيبا من قومه انهم يسمونه
بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به
من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري
اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس
ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية
بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وارسلناه ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر
القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة
اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من
سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة
او ريبا وقع في قلبه عليه الصلوة والسلام بل اصل الغين في هذا
ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق
الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يغشي القلب ولا يغطيه كالغيم الرقيق الذي
يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على
قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي
ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون
المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها
عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه
من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي
والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة

وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله
عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعليهم درجة واتمهم
به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه
واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى صلى الله عليه
وسلم حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا
من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها
والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد
وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز
الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي
وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال
بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه
في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من
امر امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم
فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون
استغفاره عليه الصلوة والسلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار
وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم
على الاستغفار وقال غيره وليستشعروا الحذر ولا يركنوا الى الامن
وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه
فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبودية كما قال في ملازمة
العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي

المحذر

فى بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فى اليوم
اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله **فان قلت** فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى
الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
وقوله لنوح عم فلا تسئلنى ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين
فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من قال فى اية نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفى اية نوح لا تكونن ممن
يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من
صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء **والمقصود** وعظهم ان لا يتشبهوا
فى امورهم بسمات الجاهلين كما قال انى اعظك وليس فى اية منهما دليل
على كونهم على تلك الصفة التى نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها
فلا تسئلنى ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا
قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان
يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك
ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح **حكى** معناه مكى كذلك امر نبينا فى الاية الاخرى بالتزام الصبر على
اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر
حكاه ابو بكر بن فورك **وقيل** معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو بكر مكى **وقال** مثله فى القرآن كثير
فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا
فان قلت فاذا تقررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شىء
من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك

ان فعله

ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية **وقوله**
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية **وقوله** اذا لاذقناك
ضعف الحيوة الاية **وقوله** لاخذنا منه باليمين **وقوله** وان تطع اكثر
من فى الارض يضلوك عن سبيل الله **وقوله** فان يشاء الله يختم على
قلبك **وقوله** وان لم تفعل فما بلغت رسالته **وقوله** اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين **فاعلم** وفقنا الله واياك انه صلى الله
عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه
ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه او
يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة
والبيان فى البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل
فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك
من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا لتشتد بصائرهم
فى الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف للنفس **واما** قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية **وقوله** اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء
من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله و
كذلك **قوله** وان تطع اكثر من فى الارض فالمراد غيره كما قال
ان تطيعوا الذين كفروا الاية **وقوله** فان يشاء الله يختم على قلبك
ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره **وان** هذه
حال من اشرك والنبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه
هذا **وقوله** اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم

رسالاته

والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الآية وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ولا كان
من الظالمين فصل وأما عصمتهم من هذا الفن قبل
النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله
وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار
عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد
والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه
في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل
الأخبار أن أحدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند
هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت
هذه سبيله وأنا أقول إن قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته وعير
كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه
أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه
آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا
بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم
عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم
وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم
لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عنهم
عند تحويل القبلة وقالوا ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله
تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله وإذ أخذ الله ميثاق

النبيين

النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد أن يأخذ
منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده
بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد
هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل وشق قلبه صغيرا و
استخرج منه علقة صغيرة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم
غسله وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت به أخبار المبدأ ولا يشتبه عليك
بقول إبراهيم عم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل كان
هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم
التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك
مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار
والمراد فهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركائي أي
عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين
قول الله تعالى عنه إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقال إذ
جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فإن
قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قيل إنه إن لم يؤيدني
بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا
فهو معصوم في الأزل من الضلال فإن قلت فما معنى قوله وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن
الرسل قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا يشكل
عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم

فقد يأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى التحير ورد كما
جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر
فعادا بعد ابوالا   وما كانوا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك
ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك
اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان عليه الصلوة والسلام
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام
قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله و
علمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية
وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة
فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد و
وجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي
وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطاء
ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم
اي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
ومثله عند هذا انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد
ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه كقوله وانزلنا
اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى
بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك
في قصة موسى عم قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين

وليشرح

الغافلين

الغافلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان
تضل احديهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ١
فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القرآن
ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو
الفرائض والاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي
لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان
ابن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان
يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه
اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده
باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا
وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان
وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت
اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم
من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث الآخر الذي روته ام ايمن
حين كلمه عمه وآله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد
كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من
صنم تمثل لي شخص ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد
بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي باللات والعزى
اذ لقيه بالشام في سفرة مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه
علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

فان قلت فما معنى
قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين
فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا
غافلون بل كما حكى ابو عبيد الهروي ان معناه
لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام
اذ لم يعلمها الا بوحينا وكذلك الجميع
وهذا احسن وجوهه

لا تسئلني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا
فبالله الا ما اخبرتني عما اسئلك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك
المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله له انه كان قبل
نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو
بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عم **فصل** قال القاضي ابو الفضل
قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان والوحي
وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود
قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت
من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع
الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد
قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه
على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها
بامور الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء
ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم
متعلقة بالآخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها
بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال
انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون والبكم
عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر
في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية
واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك

كله

كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم
به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من
الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم
اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شئ على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث
ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة
اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما
يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف
فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على
القول الآخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم
من الخطاء في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين
انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده
انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شئ ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه
صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل
الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى
استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك
ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى
استفرغ علم جميعها عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه
على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح
منه الجهل بشئ من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح
دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض

وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى وآياته الكبرى وامور الآخرة و
اشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان
وما يكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا يأخذه
فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط
له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند
جميع البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب
بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى عم للخضر هل
اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسئلك
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسئلك بكل اسم سميت
به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك قال زيد بن اسلم وغيره
حتى ينتهي العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط
بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد
والشرع والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان
الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس
وقد نا القاضي الحافظ ابو علي قال نا ابو الفضل بن خيرون نا العدل
نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا اسمعيل الصفار نا
عباس الترقفي نا محمد بن يوسف نا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد
عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا
واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله اعانني عليه فاسلم زاد

وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم صح

غيره

غيره عن منصور فلا يأمرني الا بخير وعن عائشة بمعناه روي فاسلم
بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فاسلم يعني القرين انه انتقل من حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر
الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي
ابو الفضل فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني
آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه
وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء
نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه
فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلوته فاخذه النبي صلى الله عليه
وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي
الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية
حتى تصبحوا تنظروا اليه فذكرت قول اخي سليمان رب هب لي
ملكا الآية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه صلى الله عليه
وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى
الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت
اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة
وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل
ما يتعوذ به منه ذكره في الموطاء ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب
بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الايتمار بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة

يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم الآية ومرة ينذر لبشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه
الله امره وعصمه ضرره وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عم
كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال
عليه الصلوة والسلام حين لُدّ في مرضه وقيل له خشينا ان يكون
بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل
فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية
فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم
قال واما ينزغنك اى يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم
فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركك والنزغ ادنى الوسوسة
فامر الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان
من اغرائه به وخواطر ادانى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه
ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط
عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في
هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة
الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله
الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له ببرهان يظهره
لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى
قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى

الشيطان

الشيطان في امنيته الآية فاعلم ان للناس في هذه الآية اقاويل
منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما
عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه
الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه
ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد باشبع من
هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسليط
الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا
قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي
ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو
الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره
ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي اصابه الشيطان
ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه
الا الشيطان وقوله عن يوسف فانسيه الشيطان ذكر ربه وقول
نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا
واد به شيطان وقول موسى عم في وكزته هذا من عمل الشيطان
فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام
العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله
كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله

اشغاله

طلعها

فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ
لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى ع م قال الله تعالى واذ قال موسى
لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى
كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته
وقد قال المفسرون في قوله انسيه الشيطان قولين احدهما ان الذي
انسيه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انسيه
ان يذكر للملك شان يوسف ع م وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان
ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما
بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله صلى الله
عليه وسلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه
ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدا الصبي
حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان
على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا
واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة واما ان جعلناه
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو
دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب
لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله
صلى الله عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم
فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا

الذي عرض به

ولا سهوا

ولا سهوا وغلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام
قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه
على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرائني
ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك و
عصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي
بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة
لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه
اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة
والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحيه اليه من وحيه لا على
وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضى والسخط و
الصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله
اكتب كلما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول
في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا
فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا
ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت
فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت
به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه
في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان ولو جوزنا الغلط
والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة

على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق **فصل** وقد توجهت
ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى
وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة
العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان
القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه
شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم
عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ
الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله
وان كادوا ليفتنونك فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل
هذا الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه
اما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة
ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون
والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل
الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه

في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة وآخر
يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدثت نفسه فسهى
وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه
وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل
اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من
اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين
لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها
ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث
لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز
ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله
عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
فقد بين لك ابو بكر انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا
وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي
لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز
الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه
البزار والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة

واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل
هذه الرذيلة إما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح
آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه
عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله
عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عم
وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلوة والسلام او يقول ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا
وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه
الصلوة والسلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا
ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان
او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا
ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض
الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية
ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام
لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام
ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى
الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين
ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح
حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه
ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة
القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط

العدو

العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض
ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة
شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت
قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة
كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض
الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم
من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من
هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها
بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال
بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القصة
ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان
الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري
وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله
عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم
يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه
قال عليه الصلوة والسلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد
مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل
قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روى

عن ابن عباس كل ما فى القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار ولم يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي
ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل ولا كاد ليفعل قال ابن الانباري ما قارب
الرسول ولا ركن وقد ذكرت فى معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه
من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق فى الآية الا ان
الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من
فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو
مفهوم الآية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد
اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب على ذلك
أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل
ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه السورة
فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي
صلى الله عليه وسلم مثله فى حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه فى نوم ولا يقظة لعصمته فى هذا
الباب من جميع العمد والسهو وفى قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفى رواية ابن شهاب
عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من
الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه الصلوة والسلام لا سهوا ولا قصدا
ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم
قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم هذا

ربي على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي
ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روى انه كان فى الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح فى تأويله عنده وعند غيره من المحققين عن تسليمه
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي
تفصيلا فى قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك من المسلمين لحفظ السورة قبل
ذلك على ما انزلها الله تعالى وتحققهم من حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فى ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة فى مغازيه نحو هذا
وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين
وقلوبهم ويكون ما روى من حزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه الاشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا وقال تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي
تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم
آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من السهو اذا قرأ
فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي فى الآية انه حدث نفسه
وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفى رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا
السهو فى القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة

ما لبس من القرآن بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على ذلك السهو
وما لا يجوز عليه ومما يظهر في تاويل ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة
العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى
وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة
انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة بنات
الله كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله
الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح
فلما تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان
واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما
سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في انزال
الله تعالى ذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء
وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
الاية وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء
من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوته ويشغبوا
عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا
ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال له فحزن لذلك

بل نبه عليه ويذكر الحين على
ما ستذكره في حكم ما يجوز عليه
من السهو صح

من كذبهم

من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية
وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم اياته ودفع
ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية
ومن ذلك ما روي من قصة يونس عم انه وعد قومه العذاب عن ربه
فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا
فذهب مغاضبا • فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار
الواردة في هذا الباب ان يونس عم قال لهم ان الله مهلككم وانما
فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه
قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال
ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس
لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم
رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن
ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي
عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر
فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب
كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول
له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه
وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم
ثبتنا واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا

ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد
وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله
على الله ورسله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشتغل بمثل هذه
الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله و
لم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه
على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم
الكاذبون ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه
وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا
طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له
عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك
هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول
صلى الله عليه وسلم قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم
مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها
بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه
وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى
قافيته او مبتداء الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق
ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله عليه الصلوة والسلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا
فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا
على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احديهما وتوصل الكاتب
بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها

وما وقع من ذكرها في حديث انس
وظاهر حكايته لها فليس فيها ما يدل
انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد
عنى البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت
عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس
قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت
قال القاضي الامام ولهذا والله اعلم لم يخرج
اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي
خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه
عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه
في جميع الروايات الا من حكايته عن المرتد
النصراني صح

للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله
عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد
ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرا جماعة
فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على
وجهين في غير المقاطع قرا بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل
وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقضي الحق ويقص الحق وكل
هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا
ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله
عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء

فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل
البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد
ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب
تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال
رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه
ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين
الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة
بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن
لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند
ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر

حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه
عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال
اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا
فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها
ولم يرد في شيء منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في قول قاله
او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان لنقل كما نقل من قصته عليه الصلوة
والسلام رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك
رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله
لا احلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت
عن يميني وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء
الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده
ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء
من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب في خبره واتهم
في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء
الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار
منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه
منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستشنع ويشيع مما
يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف
فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه

وعمده

وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما
جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه
مناقض للمعجزة عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في
وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من سامح في تجويز
ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه
لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال
دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن
تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه
وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما
عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا
صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه
في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه
فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
السهو الذي ثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر قال ثنا القاضي
ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد قال ثنا ابو عبد الله بن
الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين
عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر فسلم في
ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام
نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن
وفي الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي

الى كتين وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض
ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء
في هذا اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف
والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما
ليس طريقه من القول البلاغ الذي نفيناه من القولين فلا اعتراض
بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله
جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو
صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد
هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب
عنه فذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار
القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه
وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن
ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان ان قوله ولم انس راجع
الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس
السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه
بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر و
النسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رأيت فيه
لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر

تذكره

منها

منها قال القاضي ابو الفضل والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه
كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على
غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه
نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست انسى ولكن انسى فلما قال
له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل
غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا
لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس
حقيقة ولكنه نسي ووجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ
وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو
انما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا
بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما
قصرت ولا نسيت خلف في قول واما قصة كلمات ابراهيم عم المذكور
في الحديث انها كذباته الثلث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني
سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي
فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في
القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة
عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم
اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى

بازاء في

ووجه آخر ان قوله عليه الصلوة والسلام
ما قصرت الصلوة وما نسيت بمعنى الترك
الذي احد وجهي النسيان اراد والله اعلم
اني لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلوة
ولكن نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي
والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح اني لانسى او انسى لاسن

صح صح صح

عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم
معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو
خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما
اراد بيانه لهم في جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء
نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض
حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى
الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس
والقمر ما نصه الله وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم
هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان
ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف
فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في
الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت
فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب
ابراهيم الا ثلث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته انه
لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه
الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عم
من مؤاخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده
لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع

آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة
كذا او وجهتنا الى موضع كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده
فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول
موسى عم وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله
عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع
البحرين اعلم منك وهذا اخبر قد انبأ الله تعالى انه ليس كذلك
فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن
عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق
وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه
ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك
فيكون اخباره بذلك ايضا على اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور
اخر مما لا يعلمها احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة
في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص
بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله
ذلك عليه فيما قاله العلماء انكاره هذا القول عليه لانه لم يرد
العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله
شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية
نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان
نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن

هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من
عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه
الصلوة والسلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم
ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله انه اعلم
من موسى ولا يكون الولى اعلم من النبى واما الانبياء فيتفاضلون
فى المعارف وبقوله وما فعلته عن امرى فدل انه بوحى ومن قال انه
ليس بنبى قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبى آخر وهذا يضعف
لانه ما علمنا انه كان فى زمان موسى نبى غيره الا اخاه هرون وما نقل
احد من اهل الاخبار فى ذلك شيئا يعول عليه واذا
جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفى قضايا
معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض المشايخ كان موسى اعلم من
الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى قال آخر انما الجى موسى
الى الخضر للتاديب لا للتعليم فصل واما ما يتعلق بالجوارح من
الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذى وقع
فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه
المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات
ومستند الجمهور فى ذلك الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابى بكر
ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره
الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة
والتقصير فى التبليغ لان كل ذلك يقتضى العصمة منه المعجزة مع الاجماع
على ذلك من الكافة واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على

والجمهور ... قائلا بانهم معصومون من ذلك من قبل
الله معتصمون باختيارهم وكسبهم
الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم
على المعاصى اصلا صح

الانبياء وهو مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقهاء والمحدثين و
المتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى
الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات فى الشرع قاطع
باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين
الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس
فى الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس
وغيره ان كل ما عصى الله تعالى به فهو كبيرة وانه انما سمى منها الصغير
بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة البارى فى اى امر كان يجب كونه
كبيرة قال القاضى ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان فى معاصى
الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها
حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شىء والمشيئة
فى العفو عنها الى الله وهو قول القاضى ابى بكر وجماعة ائمة الاشعرية
وكثير من ائمة الفقهاء قال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف
انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا
فى صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء
والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل
هذا يحط منصب المتسم به ويزرى بصاحبه وينفر القلوب
عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل
المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر
وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد
استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال

يجب

افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة
بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداذ
وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري
وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج و
الاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان
ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع
فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة او الاباحة
او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله
معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم ذكر على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه
وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل
واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي
عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء
بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل
فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه
وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه
جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد
منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رأيت رسول الله

ومن قال بالاباحة في افعالهم قيد قال
ولو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله
يتميز مقصده به من القربة صح

مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول
او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم صح

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت
عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب صلى الله عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل
الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم واعلمكم بحدوده والآثار
في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع
اتباعهم افعاله واقتداءهم بها ولو جوزنا عليه المخالفة في شيء منها
لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر صلى الله عليه
وسلم على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها
منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم
مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت
له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق الهم بالله والدار
الآخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على
سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه
السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل
الله على نبينا وعلى سائر انبيائه صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم
بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم
المعصية فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل
النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله تعالى تنزيههم
من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة
تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع

وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه
هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا
قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه
حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة
ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة و
مقتدى فرق الائمة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد
الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر
به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك
جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون
متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة
غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى
واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره صلى الله عليه وسلم وترك
قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان
عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة
كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف
بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت
هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى
وقيل عيسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم فهذه جملة المذاهب
في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها
مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف

عموم دعوة عيسى عليه السلام بل الصحيح انه لم يكن صح

جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عم اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها
اذ لم يثبت لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا
للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن
له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول
وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع
بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد
هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء
غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله
في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر
اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن
قبله يلتزمه بمساق حجته في كل شيء فصل هذا حكم
ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية
ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو و
النسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق
الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك
المؤاخذة به وكونه ليس معصية لهم مع اممهم سواء ثم
ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن
هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من

العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته منه مع جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها **واما** السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه الصلوة والسلام اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن **وهذه** الحالة زيادة في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعتراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين **واما** ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه الصلوة والسلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله

ليتبع

ليتبع فيه **فالاكثر** من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه الصلوة والسلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته **وذهبت** طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه الصلوة والسلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى

فصل في الكلام على الاحاديث المذكورة فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم **قد** قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو صلى الله عليه وسلم وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه **الصحيح** من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلوة ثلثة احاديث **اولها** حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين **الثاني** حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين **الثالث** حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا **وهذه** الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال **وشرطه** انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمنا وان النسيان والسهو في الفعل

في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق
وقد قال عليه الصلوة والسلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا و
كذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه الصلوة والسلام
انى لا انسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي
انى لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه
ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي
ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد انى انسى في اليقظة وانسى في
النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو
او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه
اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر
وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول
وغفلة وآفة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو
شغل فكان عليه الصلوة والسلام يسهو في صلوته ويشغله عن
حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله
في الرواية الاخرى انى لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله وقالوا
ان سهوه عليه الصلوة والسلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا
قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف
يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة
النسيان ليسن لقوله انى لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين

ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون
وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في
قوله انى لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة و
انما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول
نسيت آية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة
عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل
بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر
والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة
في الخوف اذ لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين
والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت
فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلوة يوم الوادي
وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء في ذلك
اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه
في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك ويصحح هذا التاويل قوله
عليه الصلوة والسلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقوله
بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون
منه لامر يريده من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع
وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن
بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه

كما يندر من غيره خلاف عادته صح

لما دوّى كانه كان محروساً وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يُسمع غطيطه
ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند
قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه
لمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث آخر فكيف وفي آخر
الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ
وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي
الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال
عليه الصلوة والسلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في
حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال
اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه الصلوة والسلام
التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر
يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاته اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل
بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلوة والسلام
عن القول نسيت وقد قال عليه الصلوة والسلام اني انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني ولقد اذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم
اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت
آية كذا فمحمول على ما نسخ فعله من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم تكن
منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو
وغفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان
هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب لان يضيف
الفعل الى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه

بجره

عليه الصلوة والسلام لما اسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ
ما أمر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من
قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره
وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله
كرةً ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط
حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه
لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد على
من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم
ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن
شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من
القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما
اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه و
جاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن
مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة
على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن
ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى

انجاه الا عصى الآية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى
آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية وقوله عنه
ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين
وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر
ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما
قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في
دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت واعلنت ونحوه من
ادعيته عليه الصلوة والسلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم
في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث
ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين
مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمن
الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله قال القاضي
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من
ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر
عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه
الصلوة والسلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل
حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم وما

تأخر

تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله
والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لامته
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما
يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين
في الآية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية انك
مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة
ههنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول
ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل
نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهرك حكى معناه السمرقندي
وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه
الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه
مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا
ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عنك
ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض
اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت
عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق
منها او يكون الوضع عصمة الله تعالى له وكفايته من ذنوب لو كانت

لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل
قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى بحفظ ما استحفظه
من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه
وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية
بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد
حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء
فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فاذن لمن شئت
منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم
قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قالوا انما يقول العفو لا يكون
الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا
قال الداودي روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك
الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى
بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي
صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر
الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم
احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض
الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه
لغرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله
عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين

انهزم المشركون

انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق
فاختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان
لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى
معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم
به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان
يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم
كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم
لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص
قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان صلى الله عليه
وسلم قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضه قال جاء جبريل عم الى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا
القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا
الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا
الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان
الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف
اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه
القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى
هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين
واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت

عذابا نجا منه عمر ومثله وعن عمر لانه اول من اشار بقتلهم
ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي
والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم
حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه
الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه في هذه الاية
ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا
فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن
كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من
عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في
شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره
الله تعالى عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها
والله يعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في
اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا
معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه
الصلوة والسلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي
صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة
لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة
له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين
امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى
وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم عم وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما
الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية وقوله وعصى آدم ربه
فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد
عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة
ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك
الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا
لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا
بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله
حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن جبير حلف
بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك
قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم
هنا الجزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف
لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن
معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج
الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره
انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله وعصى آدم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهدا
كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي
نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا
قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله تعالى

لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم و
قال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل
الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر تفصيل
ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا و
ليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا
عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب
وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم
بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف
عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله
ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله اذ ابق الى
الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم
بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما
حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم
يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى
نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا
ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه
واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عم فلا يجب
ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا
وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد
في حديث صحيح والذي نص الله تعالى عليه قوله وظن داود انما فتناه الى

قوله

قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال
قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن مسعود ابن عباس و ما زاد داود على ان قال
للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه
وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره
وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك
فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك
ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في
قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم واما قصة
يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم
فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند
ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم
كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب
وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى في ولقد
همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء
والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله عليه
وسلم عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية
في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم
اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف

وقيل بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة
لما بسط له من الملك والدنيا

وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان
في نعاج غنمهما على ظاهر الاية

من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون
ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ
فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم وأن الكلام فيه تقديم
وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى
عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء وقال وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله
إنه ربي أحسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها أي بزجرها
ووعظها وقيل هم بها أي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر إليها وقيل
هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال
النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة
فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه وأما خبر موسى مع قتيله الذي
وكزه فقد نص الله تعالى أنه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين
فرعون ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه
بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل
الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي
لنبي أن يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وإنما
وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل إن هذا كان قبل النبوة وهو
مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء
بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل إلقاؤه في
التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه أخلصناك إخلاصا قاله ابن
جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا خلصتها وأصل

الفتنة

الفتنة معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في
اختبار أدى إلى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عم
بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل
لأن موسى عم دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة
آدمي ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
أدت إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من
الله فلما جاءه بعد وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين
والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل
شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل
في هذا الباب في اللغة معروف وأما قصة سليمان وما حكى فيها أهل
التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه
ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن الليلة على
مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله
فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي
ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته وقيل بل مات
فألقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لأنه لم يستثن
لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته أن سلب ملكه و

ذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل أوخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه
على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون
على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في
القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه
نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل
عنه وقوله وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة
على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكر المفسرون ان لا يسلط
عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على
قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص
بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك
دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه وكاحياء الموتى لعيسى واختصاص
محمد بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عم فظاهرة العذر وانه اخذ
فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد
علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من
اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه
مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب
عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه
وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا
وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله واقدامه
بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا

قصة

قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة واحدة
احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية
بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح
الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول
برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله تعالى اليه ما
يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو
في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل
هناك ولم يأت في كل هذا امر نهي عنه فيعصى به ولا نص فيما اوحى
الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم

فصل

فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله وسلامه عليهم الذنوب والمعاصي
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء
بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم
واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم
وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة
بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم
وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا
عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه
التأويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون

وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال
طاعتهم لا انها ذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب مأخوذ من الشيء الدني
الرذل ومنه ذنب كل شيء اي آخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى
افعالهم واسوء ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم
وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي و
الخشية لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح
والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما
قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم
كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيفما كانت
من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي
التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطاء ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت
امنيته وهذا يوسف عم قد اوخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند
ربك فانسيه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي
يوسف عم ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي
صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما
قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب
انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويجاوز عن سائر الناس لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به
من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان
الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما
ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوء حالا من غيرهم فاعلم

اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول
انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون
بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتبيه ربه
فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت
اليك اني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمن وانابته فسخرنا
له الريح الى وحسن مأب وقال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر
زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه
غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك
فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم
ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع
المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين
قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن
استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم
تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء
من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا
فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي
مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو و
التاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته
وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف
بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه الصلوة والسلام وقد امن من
المؤاخذة بما تقدم وتأخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله

واعلمكم بما اتقى قال الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام و
تعبد لله لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم اممهم
كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء
وهو استدعاء محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة
والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة
وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم وما تاخر من ذنبه لقد تاب
الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا فصل قد استبان لك ايها الناظر
بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته
وكونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا
وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه عن
ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ
نبأه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا و
اجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه
عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة
واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل
حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي و

يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في
بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك
من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن
الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا
ما احتاط عليه الصلوة والسلام على الرجلين الذين رأياه ليلا وهو
معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما
ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما
فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه
الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام
فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه
متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول
الفقه ويبتنى عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب
مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله
عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولابد
من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه
لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب
اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط
بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم و
المفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور
ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه
والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص

اومدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا او يضيع حرمة
للنبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا ما افتذ ارباب الاصول وائمة
العلماء والمحققين في عصمة الملائكة فصل في القول في عصمة الملائكة
اجمع المسلمون على ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين
منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق
الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين
منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له مقام
معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته الآية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون
ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين
منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن
نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار ان
لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك
ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة
الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة
المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم

اختلف

الكلمة

اكرمك الله تعالى ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن
اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما
سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله تعالى
اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت
القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه
الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما
ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين
او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة
فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه
وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما نحن
فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب
تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه
سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا
ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران
انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل
عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر
غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه
امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي والكفر
المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو

قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي
افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على
الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعا اليهود عليهما المجي به كما ادعوا
على سليمن فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل
هاروت وماروت قيل هما رجلان يعلمانه قال الحسن هاروت وماروت
علجان من اهل بابل وقراء وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على
هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان
هنا داود وسليمن وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل
فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الاية على
تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملئكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا
وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم
ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملئكة ورئيسا فيهم ومن خزان
الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملئكة بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو
الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن
الذين طردتهم الملئكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس
شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع
الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملئكة عصوا الله فحرقوا وامروا
ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكره الله
الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

الباب الثالث فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم

من العوارض

من العوارض البشرية قد قدمنا انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء
والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات
والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على
البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى بالاضافة الى ما
هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض صلى
الله عليه وسلم واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه
الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط
فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق
بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي
لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا
ورموا في النار ووشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض
الاوقات ومنهم من عصمه الله كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف
نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته
اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك
عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن
الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى
ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين
امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع
الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على

ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسلية لأمتهم
ووفورا لأجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض
المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم
البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما
بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى
والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه الصلوة والسلام
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه
وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف
وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم
الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو صلى الله عليه
وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار انه
كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره
اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته
وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله
لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه
الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه
ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري
غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه فصل فان قلت فقد جاءت
الاخبار الصحيحة انه عليه الصلوة والسلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو
محمد العتابي بقراءتي عليه قال نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف

غنهم

نا محمد بن

نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد بن اسمعيل قال نا ابو اسامة
عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية
اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث واذا
كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله
واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت
به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد
نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في امره لبسا وانما
السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما
لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء
ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته
او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما
يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها
وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها
ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث
الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان
وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل عنه في ذلك
قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر و
تخييلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما
فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد

وافواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن
هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من
تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى
وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان
عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال
فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه
في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله
على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن
يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا
هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه الحديث
قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة
خاصة سنة حتى انكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه
الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده
وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه ويكون معنى
قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه
ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة
السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل
هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون
قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما
فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا
من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه

وروى نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم صح

وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة صح

وطعامه واضعف جسمه او مرضه صح

لما اصابه

لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرا عليه في ميزه واذا كان
هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا
ولا يجد به الملحد المعترض انسا فصل هذه حاله في جسمه فاما
احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد
والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على
وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع
كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا نا ابو
العباس احمد بن عمر قال نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد بن عمروية
نا ابن سفيان نا مسلم نا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد
المعقري قالوا نا النضر بن محمد قال نا عكرمة نا ابو النجاشي قال نا
رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
وهم يابرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو
لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر
اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رايي فانما انا
بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت
ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو
حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا
على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها
لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها
وكما حكى ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر

قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو
الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال
فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم
نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت
بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر واراد
مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار
فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا
التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه
فيه ما ذكرنا اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي
امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها
والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية
ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة
الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز
في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه
الصلوة والسلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها
وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا
عليه في باب معجزاته صلى الله عليه وسلم من هذا الكتاب

فصل وأما ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية على
يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من
المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا
بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا يأخذ
منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد
نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر نا ابو محمد نا ابو بكر نا داود نا محمد
ابن كثير انا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي
رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه
صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب
غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه و
معرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء
لاطلعه على سائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم
بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة
ولكن لما امر الله تعالى امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله
وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره
الله تعالى به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا
قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع
عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله
تعالى له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى
الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون
ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول

وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى
في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر و
الخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه
وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي
استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا
يفصم عروة من عصمته **فصل** واما اقواله الدنيوية من اخباره
عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف
فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض
او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا
فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم
ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما
لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما
روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين
من صحابته وتأكيدا في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك
على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه بياض
وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض
وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما
بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية
فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا
عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي

ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذا
قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها
وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما
حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب
ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك
زوجك واتق الله واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما
الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن
فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان
الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان
تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل
انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في
القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه
لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال
فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي
من النبيين فيما احل لهم ولو كان ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب
النبي صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه
اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا
ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف

سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق
النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي
بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه
صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها
وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال
سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي
فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو
ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم
عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما
طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها
ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في
ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة
وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة
واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من
استحسان للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها الفجاءة
وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل
والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن
عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وان خشيته صلى الله
عليه وسلم من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على
المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء

كما كان فعتبه الله تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله لهم
كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله
لك الآية كذلك قوله له ههنا وتخشى الناس والله احق ان تخشيه وقد
من الوحي روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه فصل فان
قلت قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع
احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو
ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن
ما معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي نا به القاضي الشهيد
ابو علي قال نا القاضي ابو الوليد قال نا ابو ذر نا ابو محمد وابو الهيثم وابو
اسحق قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل قال نا علي بن عبد الله نا عبد
الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما
حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني
اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه
فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه
وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا
فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم

مَنْ يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي
ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك
ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان واختلال
في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه
هذى هذى يقال هجر هجرا إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما
الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا
فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي
حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه
وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن
غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام
والتقدير أهجر أو أن تحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من
قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه
وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه
والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق
على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا وأما على رواية
أهجرا وهي رواية أبي إسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس
من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه
وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم صلى الله
عليه وسلم أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه
وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله
صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر ردّه
إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا
كفّ عنهم إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا
ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه
في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال
إن النبي اشتد به الوجع وقيل خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور
سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ
مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وأن الله قال
اليوم أكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بكتاب
الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه
لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل إن عمر خشي تطرق
المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن
يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت
طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا
في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه
بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها
واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا إلى

وقيل إنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا تركه صح

رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكانا لامر فينا علمناه وكراهة على
هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي
انا فيه اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وتركهم وكتاب الله وان
تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين
ذلك فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه
ابو محمد الخشني بقرائتي عليه نا ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي
نا ابو احمد الجلودي قال نا ابراهيم بن سفين نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا
ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن
آذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك
يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها
باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته
فاجعلها له زكاة وصلوة ورحمة وكيف لا يصح ان يلعن النبي
صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق
السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا
ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه صلى الله عليه
وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه الصلوة
والسلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حاله
الظاهرة ثم دعا صلى الله عليه وسلم لشفقته على امته ورأفته

ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه
دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل
لا انه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان
يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم
من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز
ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه
وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه
والعفو عنه وقد يحتمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر
من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد
في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها
الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من
دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه الصلوة والسلام لم يكن
فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا
عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق صلى
الله عليه وسلم من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان
يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا
على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر
من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط
وقد يكون ذلك سؤالا لامته لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان
يجعل ذلك له كفارة لما اصابه وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته له في
الدنيا سببا العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك

شيئا فعوقب فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله
عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ
الكعبين فقال له الانصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ
الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم
منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير
اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث بابا اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه
بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ
للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء
به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في غضبه ورضاه وانه وان نهى ان
يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء
لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان
لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه
لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له
وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت تضرب الناقة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم أعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب عليه الصلوة والسلام
الاقتصاص منه فقال الاعرابي فقد عفوت عنك وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلث مرات
وهذا منه عليه الصلوة والسلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب
لكنه صلى الله عليه وسلم اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه
واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق
فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني
قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه صلى الله عليه
وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان
منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل واما
افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي و
المكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه
وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله
على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه اذ كان عليه الصلوة والسلام لا يأخذ منها لنفسه الا الضرورة
وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته
ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف
يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف
شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح
اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية
بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه
لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب
دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ

جارية

وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته
وكذلك من يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة
وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا
وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة
في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل
المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤلفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين
من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في
الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم
لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين
واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت
البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه
كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت
من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو
رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل لهم الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى
في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه
شيء من اطرافه وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه
بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه
قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق
ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين
فان قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل عليه

فعله

الآن

الآن له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من
اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره
ما قال فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم كان استيلافا لمثله و
تطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه و
يراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج
من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال
الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض
الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن
العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله و
يحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل
هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان
جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين
في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه
وسلم لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء
فقال لها صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم
قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب
الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من
عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله
عليه وسلم وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان
النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا

اولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض
بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم
فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله
عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك
ووجه ثان ان قوله عليه الصلوة والسلام اشترطي لهم الولاء ليس على
معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد
بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال
اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره
وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به
قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه
وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله
عليه وسلم مبينا ذلك موبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى
فعل يوسف عم باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما
جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك
الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك
كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا
كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان اعلم
اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه
ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه
بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف

فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله ان حسن له التأويل كائنا من
كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف
وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان نقول الانبياء ما لم يأت انهم
قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم
فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها
عليه وعلى غيره من الانبياء صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم
وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به
كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم
صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه
واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها
عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر
كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم الذين آمنوا منكم ويعلم
الصابرين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب
المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج
حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والبصائر
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين فيتسلوا في المحن بما جرى
عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات
سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم
اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ نا ابو
الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي

والتفويض والدعاء والتضرع منهم
ونا كبدا صح

ويذكر لغيرهم
وموعظة لسواهم
في البلاء بهم صح
بتأسوا

قال نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد
بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول
الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض
وما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات
الثلث وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله
حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام
اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا
احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من
كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب
الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران
بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف روى
كان سببه التفاته في صلوته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل
بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان
لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه
وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء
اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن
فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه الا من
كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي
نص الله عليها وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع

اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه
رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما
ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية
في داره ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع
بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضها ما رأيت الوجع
على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
عبد الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا
شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني
اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين
قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع
يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي
عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر
الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي صلى الله عليه وسلم
ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون
بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء
مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن
سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا
يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن
عائشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله
به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم
الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما

يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما
من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر وحكمة
اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها
عند مماتهم لتضعيف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم
وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف
الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال
الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله عليه
وسلم مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية
ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك
المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى
يعصمه الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض راض يقصمه
بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة
خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث
ما اتتها فاذا اراح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت
خامة الزرع عن سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه
برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذا السبيل لم
يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر
بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتنع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى

اذا اراد

اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق
فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة
جسمه اشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة اشد كما تنجعف الارزة وكما قال
تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
الآية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير
استعداد بغتة ولهذا كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم
كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة
ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت
فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن
دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من
كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها و
ينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا
نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تأخر قد طلب التنصل
في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله و
امكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى
بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب
كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او والله اعلم بمراده
ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين
واولياء المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لامداء الله لهم ليزدادوا
اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة

واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال عليه الصلوة والسلام في رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد منتظر لحلوله فهان امره عليه كيفما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه الصلوة والسلام مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه الصلوة والسلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلوة والسلام

قال القاضي ابو الفضل قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذيه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك ان

اليهود

اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال وهذا هو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه الصلوة والسلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله تعالى منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد

مضمونه

فيكل

وهو

سبب

يدعونه بكنيته ابا القاسم بعضهم فى بعض الاحوال وقد روى النبى عنه
صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمى باسمه وتنزيهه عن ذلك
اذا لم يوقر فقال تسمونهم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر
كتب الى الكوفة لا يسمى احد باسم النبى صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر
الطبرى والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلوة والسلام بدليل
اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابى القاسم وروى
ان النبى صلى الله عليه وسلم اذن فى ذلك لعلى رضه وقد اخبر عليه الصلوة و
السلام ان ذلك اسم المهدى وكنيته وقد فصلنا الكلام فى هذا القسم على
ما ينبغى كما قدمنا

الباب الاول فى بيان ما هو فى حقه عليه الصلوة والسلام سب او نقص من تعريض او نص

اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبى صلى الله عليه وسلم
او عابه او الحق به نقصا فى نفسه او نسبه او دينه او
خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشىء على طريق السب له
او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب
له فهو ساب والحكم فيه حكم الساب يقتل كما سنبينه و
لا نستثنى فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد و
لا نمترى فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه
او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم
او عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول
وزور او عيره بشىء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء

وقد سمى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة صح

وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر
ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبى صلى الله عليه وسلم
يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى
قال القاضى ابو الفضل وهو مقتضى قول ابى بكر الصديق رضه ولا تقبل
توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثورى واهل الكوفة و
الاوزاعى فى المسلم لكنهم قالوا هى ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك
وحكى الطبرى مثله عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه
وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة
وعلى هذا وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حدا وكفر كما
سنبينه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه
بين العلماء الامصار وسلف الائمة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره
واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد على بن احمد الفارسى الى الخلاف فى تكفير
المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبى
صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الائمة القتل ومن شك فى كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن
حسين بن خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله
عن النبى صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمن الخطابى لا اعلم احدا
من المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك فى
كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك فى كتاب ابن حبيب
من سب النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن
القاسم فى العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الائمة

القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب
والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس
سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه
او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد انا
اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او
اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري
مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي
صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به
عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء
بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي
فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى
ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه
وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون
صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته
وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان
صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال
في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر وكذا
كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول

ثم قال

ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد
عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان
ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد
الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد واشك الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى
فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد
عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته
اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن
قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان
واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من
العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت
عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه
ونبينا عليه الصلوة والسلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره
من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا
ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت
خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان
آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه
الصلوة والسلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو
عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم

يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته
اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي
مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه الصلوة والسلام ما
فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان
ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او
مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء
سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم
وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول
حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر
او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة
من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل
وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه فصل
في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه الصلوة والسلام فمن
القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا
خلاف في قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم
الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال
في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في
الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله
اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين
ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله ونبيه اشد

من ذلك

من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الآية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن
تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر
والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو اذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى
ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال
اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما
الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن
غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال نا ابو الحسن الدارقطني
وابو عمر بن حيوية نا محمد بن نوح نا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة
نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن
علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه
وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف
وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من
قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل
ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء
وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك
امر يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه

عليه الصلوة والسلام وفي حديث آخر ان رجلا كان يسبه عليه الصلوة
والسلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه النبي صلى
الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقبل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه
كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح
وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وروى البزار عن
ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير و
روى ايضا ان امرأة كانت تسبه عليه الصلوة والسلام فقال من
يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب
على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى
ابن نافع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر
رضه ان امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه
وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما
فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن
ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها
فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس

ان اعمى

ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها
فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم
وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر
دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق
فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من
الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر
وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب
عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة
بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما
اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى
عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضه فكتب عمر
اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل
الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان
فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما
بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد
قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري
من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب
العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او

يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب
او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله لما الك على اصله والا
فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار
ان من سبه او تنقصه عليه الصلوة والسلام قد ظهرت علامة مرض
قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة
وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة
والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر فيقتله
الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله
اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه
بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر
بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد
الا قول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به
ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه الصلوة
والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه
وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة
لمن سبه عليه الصلوة والسلام القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره **فصل** فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله
عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه

ولاقتل

ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى
النبي عليه الصلوة والسلام من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر
من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان
فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اول الاسلام يتألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه
ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول
لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا
ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار
والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر عنهم
على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء
وبالاحسان وبذلك امره الله تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا
منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف
اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على
الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد
بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهما وغيلة ممن
لم ينتظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به
ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر
دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه
حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه

الصلوة والسلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم
خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى
الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه الصلوة والسلام على هناتهم وجفوتهم
كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا
واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين
وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب
بعض ائمتنا عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه الصلوة
والسلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين
وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه
الا ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا
نبه صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم
وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا
سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض
اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا
فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من
اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد
الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق
من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم

فلو قتلهم

فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما
اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند
وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير
واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب
اخذ الترة وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس ولهذا قال عليه
الصلوة والسلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين
نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من
حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد
قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه
وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن
مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار و
المنافقين نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه
الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وامور
الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود
اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من
الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم

والملائكة

والسائمة الملال وهذا دعاء على سامة الدين ليس فيه بصريح سب ولهذا ترجم
البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله
عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض
بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه صلى الله
عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض
ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد و
الذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر
من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون
وكذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج
للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل
وقد صبر لهم عليه الصلوة والسلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه
الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من عينه منهم وانزالهم من
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء و
اخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين و
كاشفهم بالسب فقال لهم يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم
سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح
عن عائشة ان عليه الصلوة والسلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه
قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي
انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي
انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من
القول او الفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن

واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى صح

منها منه

مجلد ٥

مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل وجبل عليه البشر من الغفلة كجبذ
الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي
شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه
واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر
وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي
الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا
مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم
واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل
تقدم في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من
ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان
والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه الصلوة والسلام غير
قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه الصلوة
والسلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز
عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه الصلوة والسلام نقيصة
مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في
حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه
او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه الصلوة والسلام
وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او يأتي بسفه من القول وقبيح
من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتمد ذمه
ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره
اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم

برداءه صح

قال القاضي ابو الفضل صح

هذا الوجه الاول لا القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة
ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في
نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال
محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو
يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر
بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم
النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا
ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر
الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها
واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه
الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة
وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي
صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير
محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث فصل
من النوم وشرب الدواء المأمون الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او
اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك
الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان
مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله
عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا

بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال
ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان
يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل
عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى
الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن
بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى
اليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو
كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي
تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان
كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله
عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة
والنبوة وقال محمد ابن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمن صاحب سحنون من
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه الصلوة والسلام
باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه
كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع
تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة
والمسر له زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع ان
يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي
صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من

المكروه او شرّه فهصنا يتردد النظر وحيرة العبر ومظنّة اختلاف
المجتهدين ووقفة استبرآء المقلّدين ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى
من حيّ عن بيّنة فمنهم من غلّب حرمة النبي صلّى الله عليه وسلّم وحمى
حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظّم حرمة الدم ودرأ الحدّ بالشبهة
لاحتمال القول وقد اختلف ائمّتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صلّ على
النبي محمّد فقال له الطالب لا صلّى الله على من صلّى عليه فقيل لسحنون
هل هو كمن شتم النبي صلّى الله عليه وسلّم او شتم الملئكة الذين
يصلّون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانّه لم يكن
مضمراً للشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانّه انّما شتم
الناس وهذا نحو قول سحنون لانّه لم يعذره بالغضب في شتم النبي
صلّى الله عليه وسلّم ولكنّه لمّا احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة
تدلّ على شتم النبي صلّى الله عليه وسلّم او شتم الملئكة ولا
مقدّمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدلّ على انّ مراده الناس
غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صلّ على النبي صلّى الله عليه وسلّم
فحمل قوله وسبّه لمن يصلّي عليه الآن لاجل الآخر له بهذا عند غضبه
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلّة صاحبيه وذهب الحارث
ابن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقّف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كلّ صاحب فندق قرنان ولو كان نبيّاً
مرسلاً فامر بشدّه بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البيّنة
عن جملة الفاظه وما يدلّ على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق
الآن فمعلوم انّه ليس فيهم نبيّ مرسل فيكون امره اخفّ قال ولكن

ظاهر لفظه

ظاهر لفظه العموم لكلّ صاحب فندق من المتقدّمين والمتأخّرين
وقد كان فيمن تقدّم من الانبيآء والرسل من اكتسب المال قال ودم
المسلم لا يقدّم عليه الّا بامر بيّن وما تردّ اليه التأويلات لا بدّ
من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى عن ابي محمّد بن ابي زيد
فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم
وذكر انّه لم يرد الانبيآء وانّما اردت الظالمين منهم انّ عليه الادب
بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرّم
المسكر وقال لم اعلم من حرّمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد
ولعن من جآء به انّه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الادب الوجيع وذلك انّ هذا لم يقصد بظاهر حاله
سبّ الله ولا سبّ رسوله وانّما لعن من حرّمه من الناس على نحو
فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدّمة ومثل هذا ما يجري
في كلام سفهاء الناس في قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير
وابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شكّ انّه يدخل في مثل
هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبيآء ولعلّ بعض
هذا العدد منقطع الى آدم عم فينبغي الزجر عنه وتبيين
ما جهل قائله منه وشدّة الادب فيه ولو علم انّه قصد
سبّ من في آبائه من الانبيآء عليهم السلام لقتل وقد يضيق القول
في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت
الظالمين منهم او قال لرجل من ذرّية النبي صلّى الله عليه وسلّم
قولا قبيحاً في آبائه او من نسله او ولده على علم منه انّه من ذرّية

النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي
تخصيص بعض آبائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم
ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد
عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف
انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر
اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال
اللفظ عنده ان يكون خبرا فيمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي غمن نخ
قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد
تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به
عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت
شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه
محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان
يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى
عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة
باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل الوجه الخامس ان لا يقصد
نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او
يستشهد ببعض احواله عليه الصلوة والسلام الجائزة عليه في الدنيا
على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند التأسي
هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق
التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل و
عدم التوقير لنبيه عليه الصلوة والسلام او قصد الهزل والتنذير

بقوله

بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي وان كذبت فقد كذب
الانبياء وان اذنبت فقد اذنبوا وانا اسلم من السنة الناس ولم يسلم
منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم او كصبر ايوب او قد
صبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة
تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتجرفين في القول المتساهلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس
فيكما من فقير على ان آخر البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي
عم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد
محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه لم يأته برسالة
جبريل فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي
في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الآخر
واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبريل وقول الآخر من اهل
العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان
المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي
بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد الى امثال
هذا وانما اكثرنا شاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها و
لتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح
هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس
لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم
فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي وابن سليمان المعري

بل قد خرج كثير من كلامه بها الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد
اجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان
هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا
ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر
النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز
حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد
الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين
كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره
ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ
عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله و
مقتضى قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره او قرينة
كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل
هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر
فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ
بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ
عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي
صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا
كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل
من رسول الله من نفره لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة
منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه
في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس

واصحابه

واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال
تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض
بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي
لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء قبلنا وقال عمر
ابن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد
كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فقال له جعلت هذا مثلا فعزله
وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له و
تعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير
ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا و
نكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين
رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا
فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس
فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار
فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له ممن له ع
يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله
ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه
لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا
ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل

وقال ابو الحسن ايضا فى شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل
اسكت فانك امّى فقال الشاب أليس كان النبى امّيا فشنّع عليه
مقالة وكفّره الناس وأشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه
فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطاء لكنه مخطئ فى استشهاده
بصفة النبى صلى الله عليه وسلم وكون النبى صلى الله عليه وسلم اميا
آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة
النبى صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجأ
الى الله فيترك لان قوله لا ينتهى الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله
بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض
قضاة الاندلس شيخنا القاضى ابا محمد بن منصور فى رجل تنقصه آخر بشىء
فقال له انما تريد نقصى بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص
حتى النبى صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه
اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله

فصل

الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا عن سواه
فهذا ينظر فى صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان
كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار و
الاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغى امتثاله
ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه فى كتاب او فى مجلس على طريق
الرد له والنقص على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب
ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكى لذلك والمحكى عنه فان كان

القائل

القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث
او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه فى الحقوق وجب على
سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة
عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة السلف انكاره وبيان
كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد
المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان
فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم فيتأكد
فى هؤلاء الايجاب لحق النبى صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته
وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبى صلى الله عليه
وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا
مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت
به القضية وبان به الامر سقط عن الباقى الفرض وبقى الاستحباب
فى تكثير الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان
حال المتهم فى الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابى
زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا فى حق الله تعالى أيسعه ان لا يؤدى
شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان
علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب
فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين
فلا ارى لها مدخلا فى الباب فليس التفكه بعرض النبى صلى
الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير
غرض شرعى بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب

والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله
في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والرد عليهم
بما تلاه الله تعالى علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع
السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين
في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم و
إن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد
فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه
الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا من
حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف
وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء
والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع والعقوبة
من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه أو
لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه
واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوم ببعض الأدب فهو
مستوجب له وإن كان لفظه من البشاعة حيث كان الأدب أشد وقد حكي أن
رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال
إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك على طريق
الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه
اختلقه ونسبه إلى غيره أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك
أو كان مولعا بمثله والاستخفاف له أو التحفظ لمثله أو طلبه

ورواية

ورواية أشعار هجوه عليه الصلاة والسلام وسبه فحكم هذا حكم الساب
نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل إلى
الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت
مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف في
الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم
وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير
ما كان هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير
مستبشعة على نحو الوجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه
المفتري عليه بذنبه وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى فيما
اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم
المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته
أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الأمور البشرية به
ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على
شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته
وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل
ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة
للأنبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة
إذ ليس فيه غمص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في

مقصدا لله فقط لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء
طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجتنب ذلك
من عساه لا يفهم او تخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم
النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن
ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه الصلوة والسلام
مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا
وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عم وهذا لا غضاضة فيه
جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير
بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج الله
تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق
لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه و
عيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها
على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم
منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة
دعوته اذا ظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من
اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم
واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده
بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين
ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك
موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا
سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب

فقال لا

ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار
الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن
لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به
فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى
من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى
الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود
مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في
نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب
والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه
وحياته فيما فيه هلاك من عاداه هذا شق قلبه واخراج
حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو
فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي
من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب
وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا
ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء
امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه
كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان
حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده

لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار سائر الأنبياء
صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي
أمورا لا تليق بهم بحال وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن
يتحدث منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم الله
مالكا فلقد كره التحدث بمثل هذا من الأحاديث الموهمة للتشبيه و
المشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له
إن ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على
ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن
جماعة من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس
تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون
كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته
وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه
العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها
وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها و
تلويحها فتفرقوا من تأويلها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر
فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله تعالى
ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب
طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة
المقاد واهية الإسناد وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه
في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة
عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن

الكلام

الكلام عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما
فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس و
أشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى
الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل
هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم في كلامه عند ذكره عليه
الصلاة والسلام وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه و
يراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند
ذكره فإذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم
لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم
على مجاري أعماله وأقواله عليه الصلاة والسلام تحرى أحسن
اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع
سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة
واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز ألا يعلم إلا ما علم وهل
يمكن ألا يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول
يجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا تكلم في الأفعال قال هل يجوز
منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة الصغائر فهو أولى
وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من أنواع
المعاصي فهذا في حق توقيره عليه الصلاة والسلام وما يجب له

من تعزيزه واعظامه وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه
ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه
في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان
مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم و
خطابهم فاستعماله في حقه عليه الصلوة والسلام اوجب والتزامه
آكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها تعظم
الامر او تهونه ولهذا قال عليه الصلوة والسلام ان من البيان
لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح
العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان
الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب
ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مجردا فكيف عند
ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند
مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك
عند تلاوة آي من القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى
عليها الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا
من التشبه بمن كفره

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه

ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته
قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه الصلوة والسلام و
ذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله او تخيير الامام في قتله
او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم
ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله

حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر
الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه
والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب عليه
لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي اذا اقر
بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد
ابن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن
سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك
لم تزل توبته القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي
ابو الحسن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه
فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه
فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو
الفضل وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم
اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي
صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر
حقوق الآدميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف
فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضه يستتاب
قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه
الصلوة والسلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا

القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر قال القاضي
ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب
الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه
وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس
سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لان
الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته
ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد
يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها
ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى
تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي
ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن
بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع
عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه
وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى
تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن
ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب
منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه
والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه
فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول

ذلك مع

ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة
عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق
اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد
عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك
لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان
ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع
اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه
كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره
ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل
توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى
الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التو
واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله
هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه
التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها واجر اختلافهم في الموارثة (الموازنة) وغيرها على ترتيبها تتضح لك
مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة
حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما
وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور

اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على
تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان
وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك
واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الرأي وذهب طاوس
وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله
عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه
الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند
الله تعالى ولكن لا ندرأ عنه القتل لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه
وحكى ايضا عن عطاء انه ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن
علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس
لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد و
الذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر
ان يستتاب ثلثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي
الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي
الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد
يريد في الاستيناء ثلثا وقال مالك ايضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر
يحبس ثلثة ايام ويعرض عليه كل يوم بوعظه ونصيحته فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن
ابن القصار في تاخيره ثلثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلثا اصحاب الرأي وروي عن ابي
بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي

مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى
الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضه يستتاب شهرين
وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن
القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلث مرات في ثلثة ايام او ثلث جمع
كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام
ثلث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد
عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة
تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف
ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي
ويوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء
ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك
يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم
نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب
ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق
يقتل في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون
استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر
عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في
المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي

فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او
عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه الواحد او اللفيف

من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول
توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة
حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه
من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي
هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلوته وهو
حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به
لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف
بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا
تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا
عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع
والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا
ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من
السجن ولا يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل
عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود
شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة
اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط و
السجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه
سوى شاهدين فاثبت من عدالتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع
ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا

بالسفه

ان يكون

ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما
بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما
وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد
فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض
او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف
عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو
قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة
فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل ايضا عليه بقتل
النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا
اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا
كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام
عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا
عندهم فكذلك سبهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت
لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب
الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل
يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا
سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه

اهل حرب خ

لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا
للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله
تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ
كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد
رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه
الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي
الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه
لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه
الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل
اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فلأن لا نقبل توبة الكافر
اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة
او احدا من الانبياء عم قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية
وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا
لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك
انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر
وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم
في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى
ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال

ليس بنبي

ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل
قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير
ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال و
اما ان شتم النبي شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير
مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعا
وقال ابن سحنون في سؤالات سليمن بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن
اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر
من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان
قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه
وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ
اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله
فكذلك اظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية
على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من
سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل
كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه
مما به كفروا فتأمله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في
ذلك ما حكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي
اصطفى عيسى على محمد فاختلف فيه فضربته حتى قتلته او عاش

يوما وليلة وأمرت بجر برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل
أبو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن
القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال مسكين
محمد يخبركم أنه في الجنة ماله لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه
لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال ولقد
كدت أن لا أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى للإمام
أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء أحرقه بالنار
حيا إذا تهافتوا في سبه ولقد كتب إلى مالك من مصر وذكر مسألة ابن
القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل وأن تضرب عنقه
فكتبت ثم قلت له يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار فقال إنه لحقيق بذلك
وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت الصحيفة
بذلك فقتل وحرق وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف
أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى
لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول إسلامها ودرء القتل عنها
به قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال أبو القاسم
ابن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب
وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه بإسلامه
وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه في حقوق العباد لا يسقطه
عن الذمي إسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله فأما حد
القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف

من نبي

البخ

النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه
هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط القتل بالإسلام
ويحد ثمانين فتأمله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى
الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء في ميراث من
قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون إلى أنه لجماعة
المسلمين من قبل أن شتم النبي كفر يشبه كفر الزنديق وقال أصبغ
ميراثه لورثته من المسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال أبو
الحسن القابسي إذ قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما أظهر
من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء
وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل إذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر
أحكامه حكم الإسلام ولو أقر بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة منه
فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن
وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ أبي الحسن
في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر مرتد غير تائب
ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في
الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من
أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن كفره مثله قال ابن القاسم
وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته ولا من أهل الدين الذي ارتد
إليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات
عليه وقال أبو محمد بن أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي

الذي كان مستترا أنه لك وأنه كان مظهرا له ومستهلا لم يخف أنه للمسلمين صح

يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما التمادى فلا خلاف انه لا يورث وقال
ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم تاب ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه
يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب فيمن كذب
برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلن دينا مما يفارق به
الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعى وابو ثور وابن ابى ليلى واختلف فيه عن احمد
وقال على بن ابى طالب رضه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبى
وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعى والليث واسحق وابو حنيفة يرثه
ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه
فى الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابى الحسن فى باقى جوابه حسن بين وهو
على راى اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قول مالك فى
ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة
فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير
واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه
فى العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به
ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون
وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب
فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من
اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب
عن النصرانى يسب النبى صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل

دينه ام المسلمون فاجاب بانه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث
بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله ولخصا ره

الباب الثالث فى حكم من سب الله تعالى وملئكته وانبيائه

وكتبه وآل النبى صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف
ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف فى استتابته
فقال ابن القاسم فى المبسوط وفى كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم
عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل
ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله بارتداده الى دين دان به واظهره
فليستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال فى المبسوطة مطرف
وعبد الملك مثله وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم
لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودى والنصرانى
فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك
كله كالردة وهو الذى حكاه القاضى ابو محمد مختصر عن المذهب وافتى ابو
محمد بن ابى زيد فيما حكى عنه فى رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت
ان العن الشيطان فزل لسانى قال يقتل بظاهر كفره و
لا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء
قرطبة فى مسئلة هارون بن حبيب اخى عبد الملك الفقيه وكان
ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات
منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت فى مرضى هذا
ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن
حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه

والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم
ابن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه
الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب
لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله
بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله
فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين آخر من الاديان
المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد
اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق بها الا وهو
معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل
توبته فاذا انتقل من دين الى آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا
قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به
وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو
مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق
السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطاء
المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال
فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف
قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول
مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في
عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم

كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن
الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في
الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القسم في اهل الاهواء
من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع و
التحريف لتأويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا
قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل
القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله
له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون
وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابو القاسم من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره
من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة
وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر و
اختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان
ابن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال
لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه
ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى
واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه
الله بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في
رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن ابي
بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته وقال القاضي ابو عبد الله البرنكاني

والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جواب مختلف فيه بقتل
المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلوة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال
السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي
عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع
وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين
وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية
واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه
معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري
وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم
ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي
وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا
والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان رأى
الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح
الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد
اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين
من العداوة **فصل** في تحقيق القول في اكفار المتأولين
قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين
ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه

قوله اليه

قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون فمنهم من صوب
التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم
من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم
فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم
ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من
الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او
ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم
منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق
وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا
قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول امامه
مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل
لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم
ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ودفنهم
من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير
بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري
واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود
الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه
في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي في
اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بان
الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة واخراج مسلم عنها عظيم في

الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل
التأويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطاء في ترك الف
كافر اهون من الخطاء في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم
فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا
بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب
معترضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم
في الاسلام وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك
في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد
يجيب الآخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة
على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في
الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين
فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية
وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم فهم
او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لاسيما لمن
مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك
من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه
يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه حذا الكفر
للقتل الا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول
خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا
بقوله عليه الصلاة والسلام يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان

الإيمان

الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية
ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدلك
على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الآخر ان معنى لا يجاوز حناجرهم
لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به
جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي
التشكك في حاله واذا احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة و
لم يقل من هذه وتحري ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الآخرون
بان العبارة بفي لا يقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من
التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي
امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف
المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها
بمن لكن ابا سعيد اجاد ما شاء من التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل
على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم
لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم
من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول
جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل لا يكفر احد بغير ذلك وقال
ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في
فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له
الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه
وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق

الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن
العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة
للتأويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول
الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد
حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني
قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك على كل من علم الله من حاله استفراغ
الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود
وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال
وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله
كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من
فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان
التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف
او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر فصل في بيان
ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم
ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال
للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهو كفر كمقالة الدهرية
وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من
الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا [illegible] بعبادة الاوثان
او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من

مشركي

مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب
وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة
من الروافض وكذلك من اعترف بالالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد
انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة
او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا
قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع
المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين
وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد
الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك
على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها
ابد الآباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها
وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من
اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او احد
من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب
كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من
الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة
والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا
في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة و
نبوة نبينا عليه الصلوة والسلام ولكن جوز على الانبياء الكذب
فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع

كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب
الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من
الاخبار عما كان ويكون من امور الآخرة والحشر والقيمة والجنة والنار
ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها
الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن
مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به فهو كذلك كل من اضاف الى نبينا تعمد
الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه
لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او
آذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب
مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة من
والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وغير ذلك
اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة
وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة
بما تقدم وبنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود
او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي
لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى
نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود
القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر
الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة و
الحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء
او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب
الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه
وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها
ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه
وسلم لانه اخبر صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر
عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل
هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص
فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك
وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله
مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا
نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح
مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال
كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك
نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة
وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة
بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم
ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة
باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم
والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر

الصحابة ثم كفروا من وجه آخر لسبّهم النبي صلى الله عليه وسلم على
مقتضى قولهم وزعمهما انه عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على
قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل
اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام
مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او الشمس والقمر والصليب و
النار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير
وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان
هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم
الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة
وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما
عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل
عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها و
يقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى
هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي
والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال
من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان
الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول
المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل
شيء لهم ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة

والتزيي

او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك
البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها
ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذا بهذه
التفاسير غلطوا او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان
ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين فلا يجد بينهم خلافا
كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم
ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت
الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله
عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك
الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة
هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك
وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد
والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق
ولا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر
عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذ جوز على جميع
الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول
الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة
في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى
الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا

وقلت صحبته لهم الا ان يكون حديث
عهد بالاسلام فيقال له سبيلك ان تسأل
عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين

منه او غيّر شيئاً منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية
او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة
ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله و
لا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة
في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر
معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض
دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئاً مما نص
فيه القرآن بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح
النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم عن ناقله فنكفره بالطريقين
المتقدمين لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم (للقرآن والمكذب) لكنه يستتر بدعواه
وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث او الحساب او القيامة فهو
كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من
اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب
والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول
النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول
بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة
افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد
التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين

الصيمري

كانكار غزوة تبوك ومؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة
علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى
تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من
المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما
ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك
لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس
طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار
في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط
الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى الآية وقوله عليه الصلوة والسلام من خالف
الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع
على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير
من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع
لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف باحتجاجهم به خارق للاجماع
قال القاضي ابو بكر الفوطي عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده
والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا رأي
الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله
او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد
كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون
الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول
قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود

للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون
ذلك القول لسله او الفعل ولا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان
وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم على ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما
من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله
ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال
الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها
واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو
كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري
وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه
عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري وقال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقالته حق واحتج هؤلاء
بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد
لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال
فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها
لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها
ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث
الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه
فيكون الشك به حينئذ فيه كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات
العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها
وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط

على ان

للفظه

... كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل صح

للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ
به وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق
وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم في قوله تعالى لعله يتذكر او
يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف
ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام
له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه
اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف
عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما ادى اليه
قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم
لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم
ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم
انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين
المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التأويل واذا فهمته اتضح لك
الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض
عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم
ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم في
مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب
وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة
الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في
التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال

فأنا احوالهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادّبوهم
بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال لاصحاب
كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن
رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد
والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد
وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل
بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها
وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى
عن اعادته بحول الله تعالى فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى
واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى
غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه
فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوطة و
كتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفر قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوطة
طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من
دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم لم يعاهدوا
عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل
الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان
او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال
ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم

وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ
الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت
به بالله والنبي واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين
سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا
من كفرهم والا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو
نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن
الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ عليه جزية
قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه
واضافة ما لا يليق بجلاله والاهيته فاما مفتري الكذب عليه
تبارك وتعالى بادعاء الالاهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه
او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره
او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة
عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه
من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد
العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او
جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل
على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن
باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما
المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه

بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال تمييزه وان لم يكن معه
عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح
الافعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء
الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب بعض من ادعى الالاهية وقد
قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد
من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم و
المخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية
وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالاهية
والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا
توبته وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد
هذا ايام الراضي بالله وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر
المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة و
اصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال
ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب
اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقال سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي
تنبأ وادعى انه رسول الينا اذ كان معلنا بذلك استتيب فان
تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه
زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا
على القول الآخر من انه لا تقبل توبته قال ابو الحسن القابسي في سكران
قال انا الله انا الله ان تاب أدب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة
الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم من

سقط القول

سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه
بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض
الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما
لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد
للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه و
استخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا
كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف
بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش
جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى
ابن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه
عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى
ابن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر
له انا اذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها
عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من
حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول
ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء
وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة
الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر
مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها

ومقارنها وقد سئل ابن القاسم عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك
اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال
القاضى ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم
والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر
هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم
فى هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه
كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها
لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه فى هذه الفصول واما ما
ورد فى هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب
رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث
لا ابا لكا فى اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم تقومه ثقاف
تأديب الشريعة والعلم فى هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل يجب
تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله وقال ابو سليمان
الخطابى وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الامور وقد
روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه فى كل شيء
حتى يقول اخزى الله الكلب و فعل به كذا وكذا وكان بعض من ادركنا من
مشايخنا قلما يذكر الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان
جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن
فى غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشى كان يعيب على اهل
الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفى ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول
هؤلاء يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام فى هذا الباب تنزيله فى

باب ساب النبى صلى الله عليه وسلم على الوجوه التى فصلناها والموفق
الله فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملئكته
واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا
عليه الصلوة والسلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الآية
وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
الآية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال تعالى كل آمن بالله وملئكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك فى كتاب ابن حبيب
ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون
فيمن شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب
ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن
القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى
به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف فى هذا الاصل
وقال القاضى بقرطبة سعيد بن سليمن فى بعض اجوبته من سب الله
وملئكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملئكة فعليه القتل
وفى النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحى
وانما كان النبى على بن ابى طالب استتيب فان تاب والا قتل
ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك
لقولهم كان النبى اشبه بعلى من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة
واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا
منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسى فى الذى قال لآخر

كانه وجد مالك الغضبان لو عرفه انه قصد ذم المالك قتل قال القاضي ابو
الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملئكة والنبيين
او على معين ممن حققنا كونه من الملئكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه
في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع
كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين
في القرآن من الملئكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل
ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملئكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما
من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملئكة او الانبياء
كهاروت وماروت في الملئكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية
وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون
نبوته فليس الحكم في سابهم او الكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت
لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيه فيهم
لا سيما من عرف بصديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار
نبوتهم او كون الآخر من الملئكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج
لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل
هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام
في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة فصل واعلم
ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا
منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر
او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك
فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه

الباطل

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد نا ابو علي نا ابن عبد البر نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود
نا احمد بن حنبل نا يزيد بن هارون نا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك
وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من
كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل
وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر
وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف
بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل
اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف
آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع
عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى
مالك قتل من سب عائشة رضها بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف
القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى
لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون
فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تعالى يضرب عنقه الا ان
يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على عدل
من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان
الله ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب بالنبي صلى الله عليه
وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد

لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما
قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال أراه سمع انه
من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من
القرآن فقد كفر به كله قال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد
كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد
سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله
التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية
فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب
القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان
على لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة
ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته
واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع
عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير
ابي علي بن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك
ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي
لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن
قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل فصل وسب آل بيته
وازواجه واصحابه عليه الصلوة والسلام وتنقصهم حرام ملعون
فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
العدل نا ابو يعلى نا ابو علي السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا محمد بن

يحيى

يحيى نا يعقوب بن ابراهيم نا عبيدة بن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن
عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن
آذى الله يوشك ان يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا
عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا
فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه
وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى
النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن آذاهم
فقد آذاني وقال لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني
ما آذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك الاجتهاد
والادب الموجع قال مالك من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن
شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا
على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس
نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان
والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة
عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل

او عليا

الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن
ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على
ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال
الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة قتل
قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله
تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد
لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال
ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه
كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه
المنافقون الى عائشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم
في تبريتها من السوء كما سبح نفسه
بهذا سبحانك سبح نفسه في تبريته من السوء ولهذا يستشهد لقول
مالك في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها
كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه باذاه
تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم
رجل عائشة رضها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال
من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه
الى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله بن
عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه
حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي
ان عمر بن الخطاب رضه اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان

له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء
في ثلثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوؤا
الدار والايمان الاية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاؤا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية
فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد
منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له
وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره
ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف
ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا
الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام
قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء
بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي
القيام به قال ومن سب غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب
حليلته والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول
اقول وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه
وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه
استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي
فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي
بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه

فقال ابو المطرف فذكر هذا لابنة ابى بكر فى مثل هذا يوجب عليه الضرب
الشديد والسجن الطويل والفقيه الذى صوب بقوله هو احق باسم الفسوق
من اسم الفقه فيتقدم اليه فى ذلك ويؤخر ولا تقبل فتواه ولا شهادته
وهى جرحة ثابتة فيه ويبغض فى الله قال القاضى ابو الفضل
هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانجز الغرض الذى انتحيناه
واستوفى الشرط الذى شرطناه مما ارجو ان كل قسم منه للمريد
مقنع وفى كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت
تستغرب وتستبدع وكرعت فى مشارب من التحقيق لم يورد لها
قبل فى اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت
من بسط قبلى الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه
لاكتفى بما ارويه عما اروّيه والى الله تعالى جزيل الضراعة فى المنة
بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره
وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه
وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه
خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمى اعراضنا عن ناره
الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل
عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا
يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى [illegible]
نبينا وجماعته ويحشرنا فى الرعيل الاول واهل الباب
الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم

فصل

وفتح

خصائص

وفتح البصيرة لدرك ما اودعناه وفهمه ونستعيذه جل اسمه
من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذى
لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل الحمد لله
رب العالمين وصلواته على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين وعلى
اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا

طلبا لمرضات الله تعالى
بو شفاء شريفى قرائت وكتابت
ايدن اخوان دينه مرحوم سرايلى مجوه
قادرى خرده بها ايله يادا ايدنى
الله تعالى ايكى جهانده عزيز ايليه امين
بحرمة سيد المرسلين

بلغ